FROM THE AUTHOR OF STORY OF SOMEONE

FIRASS JUBRANE

رقصة مانا

THE DANCE OF MANA

"The Story Shehrazade Never Told ."

رقصة مانا

القصة التي لم ترويها شهرزاد

FIRASS JUBRANE

2025

Mana

The story Schehrazade never told

CHAPTER ONE

الفصل الأول

في حضن الجبال الشاهقة التي تحرس سهولاً وادعة، وبين أغصان أشجار اللبخ ذات الأوراق الريشية التي تنطوي مع حلول الظلام كأسرار الليل، تستقر قرية نيلام كجوهرة ثمينة في قلب الليل الدامس. اسمها، المستوحى من حجر الزفير الأزرق العميق، لم يأتِ من فراغ، بل كان انعكاسًا لروحها الساحرة التي تتجلى بجلاء خاص مع حلول المساء.

عندما يسدل الليل ستائره المخملية المرصعة بالنجوم المتلألئة على قرية نيلام، تستيقظ روحها الحقيقية. ففي قلبها، تتلألأ بحيرة صافية كمرآة سحرية، تحتضن في أعماقها صورة السماء بكل تفاصيلها الدقيقة. وعندما يرقص ضوء القمر الفضّي على سطح المياه الهادئة، يتحوّل المشهد إلى لوحة فنية آسرة. ينعكس نور القمر ليضفي على بيوت القرية المصنوعة من الحجر الداكن مسحة زرقاء خافتة، كأنها مرصعة ببلورات الزفير المتلألئة.

تتداخل ظلال أشجار اللبخ الكثيفة التي تحيط بالبحيرة، بأوراقها المنطبقة وأزهارها الحريرية الخافتة، مع هذا الضوء السماوي، فتصبغ المشهد بمسحة من الغموض والجمال الليلي. الطرقات الضيقة والمتعرجة التي تربط بين المنازل تبدو كأنها أنهار فضّية تتدفّق بين ضفاف زرقاء. حتى النسيم العليل الذي يهب على القرية يحمل معه همسات خفيفة، كأنها أسرار الليل الأزرق تتهادى بين أوراق اللبخ النائمة.

في هذه القرية الساحرة، حيث يتنفّس الليل سحرًا أزرقًا، عاشت مانا ذات السبعة عشر ربيعًا، جمالها يضاهي صفاء ليالي نيلام ونقاء بحيرتها. وإلى

جانبها، شقيقتها الكبرى وردانة، التي كانت سندها ورفيقتها في عالم بسيط تلون بحزن عميق منذ رحيل أمهما "ليل" وسجن والدهما "براك" في قصر حاكم البلاد البعيد، السلطان بهرام.

في نيلام الزرقاء، حيث الجمال يختلط بالحزن والأمل يصارع اليأس، كانت تعيش أيضًا في عزلة على تلة وعرة امرأة عجوز تلفها الأسرار، مهروان. كانت بمثابة ظل أسود في ليالي نيلام الزرقاء، مشعوذة يتجنبها الجميع، صحبتها الغراب أزرا وأسرارها الدفينة.

وفي هذا العالم الليلي الساحر، حيث كل شيء يكتسب لونًا من سحر الزفير، كانت الأقدار تنسج خيوط حكاية ستبدأ بلقاء عابر بين ابنة السجين والفتى الغريب الذي ظهر في أحراش نيلام الزرقاء...

في إحدى الليالي التي خيّم فيها سكون عميق على قرية نيلام الزرقاء، بينما كان القمر يرسل خيوطه الفضيّة لتتسلل بين أغصان الأشجار، خرجت مانا إلى أطراف الغابة المتاخمة للقرية. كانت تحمل سلة قش وقنديل صغير،

وتتحرك بخطوات حذرة بين الظلال والأضواء الخافتة. ألم حاد كان يعتصر معدة شقيقتها وردانة منذ ساعات، ولم تفلح الوصفات المنزلية في تخفيفه. تذكرت مانا نبتة "زهرة القمر الزرقاء" التي تنمو في أعماق الغابة، والتي كانت أمها "ليل" تستخدم أوراقها المغليّة كمسكن فعال لأوجاع البطن.

بينما كانت مانا تتفحص أوراق النبات تحت ضوء القمر الشاحب، سمعت فجأة حفيفًا قويًا قادمًا من بين الشجيرات الكثيفة القريبة. توقفت عن الحركة، وقلبها يخفق بقوة، والتفتت بحذر نحو مصدر الصوت. لم يكن من المعتاد سماع مثل هذه الأصوات في تلك الساعة المتأخرة.

بعد لحظات، ظهر من بين الأغصان حصان ضخم أسود اللون، وعلى ظهره شاب وسيم يبدو فاقدًا للوعي، يتمايل جسده بشكل خطير. اقتربت مانا بحذر ودهشة، وتفحصت الشاب. كانت ملامحه نبيلة ووسيمة بشكل لافت، لكن وجهه كان شاحبًا وعلامات الألم بادية عليه. لاحظت مانا أثرًا لوخز صغير منتفخًا على ذراعه، وأدركت في الحال أنه تعرّض للدغة عقرب سام.

بقلب مليء بالشفقة والخوف، قررت مانا مساعدة هذا الغريب. وبصعوبة بالغة، تمكنت من سحب الحصان وقادته ببطء وحذر عائدة إلى منزلها المتواضع في نيلام الزرقاء.

تفاجأت وردانة بشدة بمنظر أختها وهي تدخل المنزل تسند شابًا غريبًا فاقدًا للوعي على ظهر حصانه. "ماذا فعلتِ يا مانا؟ من هذا؟" سألت وردانة بصوت ضعيف وملامح قلقة.

أخبرتها مانا بسرعة بما حدث في الغابة. نظرت وردانة إلى الشاب الشاحب، وأثر اللدغة على ذراعه وقالت بخوف: "يا أختي، سم العقرب سينتشر في جسده ويقتله! ليس لدينا ما نفعله."

لكن مانا أصرت بعزيمة "لن أتركه يموت هنا يا وردانة. سأبحث له عن علاج، ساعديني لننقله على السرير". تركت أختها بجانب الشاب الفاقد للوعي

وهلعت تجري بين بيوت الجيران، تسألهم برجاء عن أي دواء أو وصفة يمكن أن تنقذ حياة الغريب من سم العقرب القاتل.

لكن كل من سمع طلبها هز رأسه بيأس. "لا يوجد علاج فعال لمثل هذا السم هنا يا ابنتي. لقد فات الأوان." كانت كلماتهم تزيد يأس مانا وقلقها. لم تستسلم وواصلت سؤالها الملحّ حتى وصلت مانا، يائسة ومتعبة، إلى الكوخ المنعزل على التلة، حيث تعيش مهروان. كانت مهروان في نظر أهل نيلام لغز مخيف، امرأة طاعنة في السن تسكن وحدها في هذا المكان النائي، يحيط بها صمت مطبق لا يكسره سوى نعيق غرابها. أهل قرية نيلام كانوا يهمسون بأنها ورثت علومًا قديمة ومحظورة، وأن نظراتها تحمل بريقًا غريبًا يخفي أسرارًا مظلمة. الأكثر إثارة للرعب كان غرابها الأسود الضخم، أزرا، الذي كان يلازمها كالظل. كانوا يزعمون أنه ليس مجرد طائر، بل كيان مرتبط بسحرها، ينقل رسائلها ويجلب لها مكونات تعاويذها من أماكن مجهولة. نظرات أزرا الذكية والثاقبة كانت كافية لبث القشعريرة في قلوب من يقع نظره عليه.

ترددت مانا للحظة قبل أن تطرق الباب الخشبي المتصدع للكوخ. كانت هذه المرة الأولى التي تقترب فيها من هذا المكان المخيف. بعد برهة صمت

ثقيل، فُتح الباب ببطء ليكشف عن عتبة مظلمة. دعت مهروان مانا بصوت أجش إلى الداخل.

خطت مانا بحذر إلى داخل الكوخ. كانت الرائحة الأولى التي استقبلتها مزيجًا غريبًا من الأعشاب المجففة، والبخور الثقيل، وشيء آخر لا يمكن تحديده، يوحي بالقدم والغموض. كان ضوء خافت يتسرب من مصباح زيتي معلق في السقف، يكفي بالكاد لإضاءة المكان. بدت جدران الكوخ مغطاة برفوف خشبية مكتظة بجرار وأواني زجاجية بأحجام وأشكال مختلفة، تحتوي على سوائل وأعشاب ومكونات غريبة لم ترَ مانا مثلها من قبل. كانت هناك أيضًا كتب قديمة ذات أغلفة جلدية باهتة، ورموز غريبة مرسومة على بعض الجدران. في زاوية الغرفة، كان يقف قفص كبير يجثم داخله أزرا، يراقب مانا بعينين سوداوين لامعتين كحبات الخرز. كان نعيقه المنخفض يضيف إلى الجو الغامض والمهيب للمكان.

نظرت مهروان إلى مانا بعينين ثاقبتين، وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة باهتة كأنها ذكرى قديمة. "أعرف لماذا أتيتِ يا ابنة نيلام." قالت بصوتها الأجش الذي يحمل نبرة غريبة. "لقد رأى أزرا حاجتك." ثم أشارت بيدها النحيلة نحو مقعد خشبي قديم. " تفضلي بالجلوس لأحضر دواء مريضك، سأعطيك

قارورة منه، لكن ثمن هذا الدواء بسيط، أريدك أن تعودي إلى زيارة مهروان الوحيدة من جديد بعد أن يتعافى الشاب!. "

تنهدت مانا بارتياح ممزوج بالحذر، وجلست على المقعد الخشبي البارد. كانت عيناها تتجولان في أرجاء الكوخ الغريب، تحاول استيعاب هذا العالم الساحر والمخيف في آن واحد. أزرا، الغراب الأسود، حرك رأسه ببطء، وراقبها بعينين لامعتين كحبات الليل.

بينما كانت مانا تحدق في الجرار والأواني الغامضة، بدأت مهروان تتحرك بخفة بين الرفوف. كانت يداها النحيلتان تنتقيان أعشابًا مجففة وجذورًا

غريبة، تطحنها في هاون حجري قديم، وتضيف إليها سوائل داكنة من قوارير صغيرة. كانت تتمتم بكلمات غير مفهومة، كأنها ترتل تعويذة قديمة. الرائحة في الكوخ أصبحت أقوى وأكثر غرابة، مزيج من التراب والأزهار الذابلة والتوابل الحادة.

بعد لحظات بدت وكأنها دهر، قدمت مهروان إلى مانا قارورة صغيرة مصنوعة من زجاج داكن، مملوءة بسائل بلون الليل العميق. "هذا هو الدواء يا ابنة نيلام الجميلة،" قالت بصوتها الأجش. "اسكبي بضع قطرات منه في فم مريضك، وستبدأ علامات التحسن بالظهور مع أول ضوء للصباح. لكن تذكري كلمتي، عودتكِ إلى هذا المكان هي الثمن."

أمسكت مانا بالقارورة بعناية، وشعور بالامتنان يغمر قلبها رغم الرهبة التي تشعر بها تجاه هذه العجوز الغامضة. "شكرًا لكِ يا مهروان، سأعود بالتأكيد وبكل سرور كما وعدت."

نهضت مانا بسرعة، تخشى أن تطيل المكوث في هذا المكان أكثر مما يجب. أومأت مهروان برأسها ببطء، وعيناها تتابعان مانا وهي تخرج من الكوخ وتعود أدراجها مسرعة نحو منزلها، تحمل في يدها الأمل وفي قلبها وعدًا

غامضًا. أزرا، الغراب الأسود، راقبها حتى اختفت بين الأشجار، ثم أطلق نعيقًا خافتًا بدا وكأنه همسة سرية في ليل نيلام الهادئ.

وصلت مانا إلى منزلها والليل لا يزال يرخي سدوله. كانت وردانة جالسة بجانب الشاب الفاقد للوعي، تراقب أنفاسه المضطربة بقلق. ما إن رأت مانا والقارورة في يدها، حتى انتفضت بلهفة.

"هل وجدته؟ هل هناك أمل؟" سألت وردانة بصوت يرتجف.

أومأت مانا برأسها بثقة مصطنعة، وحكت لشقيقتها باختصار عن لقائها بمهروان والوعد الذي قطعته. نظرت وردانة إلى القارورة الداكنة بعينين متشككتين. "كيف تثقين بتلك العجوز يا مانا؟ الجميع في نيلام يحذر منها."

"ليس لدينا خيار آخر يا وردانة،" أجابت مانا بجدية. "يجب أن نحاول."

وبحذر شديد، فتحت مانا فم الشاب الفاقد للوعي، وأسقتْه بضع قطرات من السائل الداكن. لم يحدث أي تغيير فوري، وظل الشاب يرقد بلا حراك. كانت وردانة قد تراجعت لتنام بعد قلق ساعات طويلة، لكن مانا لم تستطع أن تغمض عينيها. جلست على كرسي خشبي بجانب الفراش، تراقب أنفاسه المضطربة في ضوء المصباح الزيتي الخافت.

مع أول خيوط الفجر، بدأت علامات الحياة تدب ببطء في جسد الشاب. ارتجفت أطرافه قليلاً، وبدأ جبينه يتعرق. فتح عينيه ببطء، وكانت نظرته مشوشة وغير مركزة في البداية، ثم بدأت تستعيد وضوحها تدريجيًا. أول ما وقعت عليه عيناه كان وجهًا مرهقًا ولكنه ينضح طيبة وقلقًا. كانت فتاة شابة تجلس بجانبه على كرسي خشبي، وعيناها الزرقاوان الصافيتان تحدقان به بلهفة. شعر كادي للحظة وكأنه يرى ملاكًا حارسًا. شعرها الأشقر الطويل كان منسدلًا على كتفيها ببساطة، وضوء الصباح الخافت يضفي عليه هالة ذهبية.

رغم علامات التعب التي ارتسمت على ملامحها، إلا أن جمالًا طبيعيًا آسرًا كان يفوح منها، جمال لم يرَ مثله قط في حياته. كان هناك شيء في نظرتها القلقة يوحي ببسالة خفيّة وعمق روحي.

"أين أنا؟" سأل بصوت ضعيف ومبحوح.

أخبرته مانا بهدوء كيف وجدته في الغابة فاقدًا للوعي بعد لدغة العقرب، وكيف أحضرته إلى منزلها. نظر إليها الشاب بامتنان ودهشة، ثم حاول أن يتذكر ما حدث له.

"أتذكر... شعورًا حارقًا... ثم ظلام..." تمتم وهو يحاول استجماع ذكرياته. ثم نظر إلى مانا مباشرة وسألها: "من أنتِ؟"

ترددت مانا للحظة قبل أن تجيب. "أنا مانا. أعيش هنا في قرية نيلام مع شقيقتي." ثم أضافت بحزن "والدتي توفيت من حسرتها منذ بضع سنوات على والدي... والدي مسجون في قصر حاكم البلاد، السلطان بهرام."

عندما سمع كادي اسم الحاكم، ارتسم على وجهه ظل من الارتباك والخجل لم تستطع مانا تفسيره. لقد كان يعلم جيدًا من هو السلطان بهرام. كيف يمكنه أن يخبرها الآن، وهي التي أنقذت حياته من الموت المحقق، بأنه في الواقع ابن هذا الحاكم الذي ظلم والدها، وتسبب بموت والدتها؟

"أنا... أنا كادي" قال بصوت خفيض، متجنبًا النظر في عينيها. "كنت في مهمة صيد وأضعت طريقي في الغابة." لقد كانت كذبة بسيطة، لكنها كانت الوسيلة الوحيدة التي وجدها لتأجيل مواجهة الحقيقة الصعبة.

بعد بضع ساعات، وبفضل دواء مهروان، استعاد كادي وعيه وقوته تدريجيًا. كان وسيمًا حقًا كما لاحظت مانا في الليلة السابقة، وملامحه تحمل نبلاً واضحًا. كرر شكره لمانا على إنقاذ حياته.

بينما كان كادي يستريح في منزلها المتواضع، تجرأت مانا وسألته عن سبب وجوده وحيدًا في الغابة. قص لها كادي حكاية مختصرة عن انفصاله عن أصدقائه في أثناء مطاردة فريسة. ثم، وبصوت خافت مليء بالحزن، بدأت مانا تحكي لكادي عن والدها برّاك، الرجل الطيب الذي سُجن ظلمًا في قصر السلطان بهرام دون أي ذنب اقترفه، تاركًا عائلته لمواجهة قسوة الحياة. كانت كلماتها تنم على شوق عميق لوالدها وعن إحساس بالظلم والقهر.

استمع كادي إلى قصتها بإنصات شديد، وشعر بوخز في ضميره. لقد كان يعلم حقيقة والده جيدًا، لكنه لم يستطع أن يكشف عن هويته الحقيقية لمانا في تلك اللحظة. كان هناك شيء في عينيها الزرقاوين الصادقتين، وفي حزنها العميق يمنعه من ذلك. بدأ يشعر بانجذاب قوي نحو هذه الفتاة الشجاعة والطيبة والجميلة التي أنقذت حياته، وفي قلبه بدأ صراع داخلي بين واجبه كابن للحاكم وبين مشاعره المتزايدة تجاه ابنة سجين والده.

عند عتبة الباب الخشبي المتواضع، الذي احتضن دفء لقائهما لساعات طويلة من ليل وقرابة يوم كامل، تبادل كادي ومانا نظرات مطولة قبل أن يهم بالخروج. كانت الشمس تميل نحو الغروب، وألوانها الذهبية والبرتقالية ترسم لوحة دافئة على وجوههما. بعد أن تناول كادي طعامًا بسيطًا ولكنه

شهيًا أعدته وردانة، وشرب من ماء نيلام العذب، شعر وكأن هذا البيت الصغير أصبح ملاذًا آمنًا لم يعرفه من قبل.

قبل أن يرفع كادي يده مودعًا، سألته مانا بصوتها الرقيق الذي يحمل نبرة عذبة وقلقًا خفيًا "هل سأراك مجددًا يا كادي؟" كانت عيناها الزرقاوان تحدقان به بصدق، تحملان رجاءً لم يستطع تجاهله.

توقف كادي، وعاد بنظره إلى وجهها المضاء بضوء الغروب. شعر بدفء غريب يسري في قلبه تجاه هذه الفتاة التي أنقذت حياته، وأظهرت له طيبة لم يعهدها في قصور الحكم. ابتسم ابتسامة خفيفة، وقال بصوت واثق "بالطبع

يا مانا. سأعود. كيف لي أن أنسى من مد لي يد العون في أصعب لحظاتي؟ وكيف لي أن أنسى هذا البيت الدافئ وهذه القرية الهادئة؟"

لكنه أضاف في نفسه، بمرارة خفية: متى سأعود؟ وكيف سأعود وأنا أحمل سرًا ثقيلاً كهذا؟ كيف سأنظر في عينيها الزرقاوين، وهما تفيضان بالبراءة والثقة، وأنا أخفي عليها حقيقة هويتي وحقيقة ظلم والدي لوالدها؟

لم تنتبه مانا لتردده للحظة، واكتفت بوعده. ارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة أضاءت وجهها كزهرة تفتحت في الربيع. "سأنتظرك يا كادي."

لوّح كادي بيده مودعًا، وخرج من المنزل، تاركًا خلفه مانا وقلبًا بدأ يخفق باسمها. امتطى حصانه الأسود الذي كان ينتظره بوقار، وتوجه عائدًا نحو القصر الشاهق الذي يمثل عالمه الحقيقي، عالمًا بدأ يشعر تجاهه بغربة بعد ساعات قضاها في بساطة ودفء منزل مانا في نيلام الزرقاء. كان يعلم أن هذا اليوم سيظل محفورًا في ذاكرتهما مدى الدهر، نقطة تحول في حياتيهما المتشابكتين. والوعد الذي قطعته مانا لمهروان كان يلقي بظلاله على كل شيء.

CHAPTER 02

الفصل الثاني

في صباح اليوم التالي، وبينما كانت أشعة الشمس الذهبية تبدأ في مداعبة أسطح منازل نيلام الحجرية، سارت مانا بخطوات ثابتة على الطريق المتعرج الذي يخترق القرية صعودًا نحو التلة المنعزلة. كانت تحمل في يدها طبقًا مغطى بقطعة قماش نظيفة، يخفي فطيرة التوت الأزرق التي أعدتها بعناية. كانت هذه فطيرتها المفضلة، وقد صنعتها بعناية عربون شكر وتقدير لمهروان التي أنقذت حياة الغريب الذي بات صديقًا لخيالاتها وأفكارها.

لكن كلمات شقيقتها وردانة قبل أن تخرج من البيت كانت لا تزال تتردد في أذنها كتحذير خفي. "يا مانا، لماذا تصرين على الذهاب إلى تلك العجوز المشعوذة؟ الجميع هنا يخافونها... لا تثقي بها." كانت وردانة تتوجس شرًا من مهروان ومن وعد مانا بالعودة إليها. لكن مانا، الفتاة العنيدة التي نادرًا ما تتراجع عما تضعه في رأسها، شعرت بضرورة الوفاء بوعدها، وكان هناك أيضًا

فضول يدفعها لمعرفة المزيد عن هذه المرأة الغامضة التي تملك مثل هذا الدواء القوي.

طوال الطريق، لم تفارق صورة الفارس الوسيم كادي مخيلتها. كانت تتذكر عينيه اللتين تحملان طيبة رغم الألم، وصوته الهادئ وهو يشكرها، والأهم من كل ذلك، وعده بالعودة. كان وعده بمثابة بصيص نور في حياتها الكئيبة، وشعرت بنوع من الأمل لم تعرفه منذ زمن طويل. كانت تتساءل عن هويته الحقيقية، وعن سبب وجوده وحيدًا في الغابة. كان هناك شيء نبيل في مظهره وطريقة حديثه يوحي بأنه ليس مجرد شخص عادي.

وصلت مانا إلى الكوخ المنعزل على التلة. كان يبدو أكثر وحشة في ضوء النهار، وكأن ظلال الليل لا تزال متشبثة بجدرانه المتصدعة. أخذت نفسًا عميقًا، وطرقت الباب الخشبي. انتظرت للحظات قبل أن يُفتح ببطء، لتكشف عن مهروان التي كانت تقف في العتبة، وعيناها الثاقبتان تحدقان بمانا بانتظار صامت. على كتفها، كان أزرا يجثم كتمثال أسود، يراقب مانا بعينين حادتين.

ابتسمت مهروان ابتسامة باهتة، لكنها هذه المرة حملت وميض إعجاب بجرأة الفتاة التي تجرأت على طرق باب عزلتها. تجعدت زوايا عينيها العتيقتين وهي تفسح لها المجال للدخول ببطء، كأنها تسمح لزهرة برية بالتسلل إلى كهف مظلم.

خطت مانا إلى الداخل، وعيناها تستكشفان بعجب ورهبة هذا العالم الصغير المعزول. كانت رائحة الأعشاب العتيقة والبخور الغامض تلف المكان كوشاح خفي، وهمسات الماضي تتردد بين جدرانه الملبسة بأسرار السنين. الضوء الشاحب المتسرب من نافذة صغيرة رسم ظلالًا راقصة على الأرفف المكتظة بالجرار والأواني، التي بدت ككنوز سحرية تنتظر من يفك طلاسمها.

"أهلاً بكِ ثانية يا ابنة نيلام الجميلة،" هتفت مهروان بصوتها الأجش الذي يحمل في طياته نغمات الزمن. "لقد أوفيتِ بوعدكِ، وهذا أمر نادر في عالمنا الزائل. فطيرة التوت الأزرق تبدو شهية كألوان أحلام الصبا." أشارت بيدها النحيلة المزينة بعروق بارزة كخريطة قديمة نحو مقعد خشبي آخر. "تفضلي بالجلوس، لنتقاسم بركة هذا الصباح الهادئ."

جلست مانا، وقلبها لا يزال يخفق ببطء تحت تأثير هذا الجو الغريب والساحر. كانت تشعر وكأنها دخلت إلى صفحة من كتاب سحر قديم، حيث الكلمات تتجسد والغموض يتنفس. كانت تحدق بمهروان بفضول ممزوج بالاحترام، تنتظر أن تكشف لها العجوز عن سر الدواء وعن مصير ذلك الشاب الوسيم الذي ترك بصمة في قلبها القلق.

"يردد أهل نيلام أنك عرافة، وتعرفين بقراءة المستقبل، هل هذا صحيح أم مجرد ثرثرات يتناقلها أهل القرية؟" قالت مانا بصوت خجول، فارتسمت حول شفتي مهروان تجاعيد عميقة تشبه خطوط القدر المتشابكة، وضحكت ضحكة خافتة كخشخشة أوراق الخريف. "يا ابنتي، أهل نيلام يرون في الظلال ما يشتهون، وفي الهمسات ما يخافون. العرافة لقب ثقيل، وحمل أسرار المستقبل ليس بالهين."

توقفت للحظة، وعيناها العتيقتان تحدقان في مانا بتمعن، كأنهما تحاولان قراءة ما تخفيه خلف نظراتها الخجولة. "لكن، إن شئتِ الحق، يا ابنة نيلام الجميلة، فإن للزمن وجوهًا كثيرة، وبعضنا يملك بصيرة أعمق لرؤية بعض تلك الوجوه الخفية. الماضي يلقي بظلاله على الحاضر، والحاضر يحمل بذور المستقبل. والقراءة ليست دائمًا في النجوم أو الكف، بل أحيانًا تكون في نبضات القلوب، وفي لمعة العيون."

أشارت بيدها نحو أزرا الجاثم بصمت على كتفها. "حتى هذا الرفيق الأسود، يحمل في عينيه حكمة الليالي وأسرار الرياح. إنه يرى ما لا يراه الكثيرون."

صمتت مهروان برهة، ثم أضافت بصوت أكثر جدية: "لكن السؤال الحقيقي يا مانا ليس عما إذا كنت أستطيع قراءة المستقبل، بل ما الذي تريدين أنتِ أن تعرفيه عنه؟ أي خيط من خيوط القدر يقلق مضجع روحكِ؟" كانت نظراتها تخترق حجاب خجل مانا، تستحثها على البوح بما يجيش في صدرها.

تنهدت مانا بعمق، وشعور بالراحة الغريبة يغمر قلبها في حضرة هذه العجوز التي لفها الغموض. "يا سيدتي مهروان، لعل علمكِ أحاط بقصة والدي المسجون في قصر الحاكم. قلبي مثقل بفقدانه. لقد سُجن ظلمًا، ورحلت والدتي "ليل" حسرةً عليه، وأضحت حياتي وشقيقتي كظل باهت منذ غيابه.

أتمنى لو أستطيع أن أعلم متى يعود، وهل سيعود سالمًا؟" اهتز صوتها بمرارة الشوق والقلق الدفين.

أصغت مهروان إلى شكوى مانا بعينين تحملان حزنًا عتيقًا. ثم رفعت يدها ببطء، ولمست كف مانا الرقيقة. "يا ابنتي، للظلم جذور عميقة تنبت في تربة القوة. لقد ذقتُ مرارة هذا الجور منذ سنين طوال. كان والدي حاكم هذه البلاد، والطاغية بهرام لم يكن سوى خادم ذليل في بلاطه. دبر مكيدة خسيسة وقتله غدرًا واستولى على العرش، ولم يرحم ضعفي وعائلتي، سفك دماء إخوتي وأخواتي... لم ينجُ من تلك المذبحة إلا أنا. هربتُ بأعجوبة، متخفية وخائفة، حتى استقر بي المقام في هذه القرية الوادعة، نيلام، حيث اختبأتُ في هذا الكوخ المتواضع على التلة، أنتظر اليوم الذي يقتص فيه القدر من هذا الظالم."

كانت كلمات مهروان كصاعقة هوت على قلب مانا. لم يخطر ببالها قط أن هذه العجوز المنبوذة تحمل في صدرها مثل هذا الماضي الدامي والعداوة المستعرة للحاكم. نظرت إليها بعينين واسعتين تفيضان بالدهشة والتعاطف العميق.

"إذن... لديكِ أنتِ أيضًا سبب للانتقام منه؟" سألت مانا بصوت خافت يكاد لا يُسمع.

أومأت مهروان ببطء وثبات، وعيناها تشتعلان ببريق خافت ينبئ بعاصفة. "أكثر مما تتخيلين يا ابنة نيلام الجميلة. دماء عائلتي الزكية تنادي بالقصاص. ولهذا السبب، أقول لكِ: لكِ حليف لم تتوقعيه في سعيكِ لاسترداد والدكِ."

ثم نهضت مهروان واتجهت نحو صندوق خشبي عتيق يركن في زاوية الكوخ. فتحته بعناية وأخرجت منه قطعة قماش مطوية بإحكام. كان لونها قرمزيًا، كشفق الغروب أو كزهر الرمان المتوهج في بستان، وبدت وكأنها تحيك خيوطًا من نور خافت.

"هذه القطعة مباركة بقوة خفية،" قالت مهروان وهي تقدمها لمانا. "لقد ادخرتها لوقت الضرورة القصوى. خذيها يا ابنتي. فرصتكِ الوحيدة للوصول إلى والدكِ هي التسلل إلى قصر الحاكم. سأرشدكِ إلى الخطة المحكمة. ستتظاهرين بأنكِ خادمة. وبمعونة أزرا، سيكون بيننا تواصل سري. سأزودكِ بشراب مسحور، لعنة ستسري في جسد الحاكم. ولن يشفى من دائه العضال إلا إذا رقصتِ أمامه بالفستان الذي سيحاك من هذه القماشة

السحرية. وعندما ترقصين، ستزول عنه اللعنة، وستعودين بوالدكِ إلى نيلام، وستستردين معه حقوقي وأملاكي المنهوبة."

أمسكت مانا بقطعة القماش البديعة، وشعور بالقوة والأمل المتجدد يتغلغل في قلبها المكلوم. نظرت إلى مهروان بعزم راسخ وقالت "سأفعلها. سأنقذ والدي وسأكون عونًا لكِ في استعادة حقكِ."

ضحكت مهروان ضحكة مدوية للمرة الأولى، وبدا وجهها المتجعد وكأنه أضاء ببريق قمر خافت. "هذه هي الروح التي كنتُ أنتظرها يا ابنة نيلام الجميلة. معًا، سنهز عرش الظالم بهرام زلزالًا."

كشفت مهروان لمانا عن خيوط خطتها الجريئة. ابتسمت العجوز بفتور، لكن عينيها الغريبتين لمعتا بذكاء خفي. "فرصتكِ الوحيدة يا ابنتي، تكمن في التواري بين جدران قصر عدونا. ستتظاهرين بالتماس عمل كخادمة." ثم أشارت نحو أزرا الجاثم على كتفها كتمثال من الظلام. "سيكون هذا الرفيق الأمين وسيلتكِ إلى الداخل. سيحمل رسالة مني، مختومة بخاتمي، إلى عجوز أخرى تعرف دروب القصر ودهاليزه، جارية وفية تدعى 'أسرار'. كانت تخدم والدتي، ولها في عنق بهرام دين قديم سيُسدد."

استمعت مانا بإنصات، وقلبها يخفق بين الخوف والأمل. أمسكت بقطعة القماش القرمزية وكأنها تتشبث بخيط نجاة. "سأفعلها يا مهروان. سأنقذ والدي، وسأكون سيفكِ في استعادة حقكِ. لكن... كيف لنا أن نتواصل وأنا بين أسوار القصر المنيعة؟"

ضحكت مهروان ضحكة خافتة، كحفيف أوراق الشجر اليابسة. "أزرا سيكون رسولنا الخفي. في جنح الليل، اربطي رسائلكِ الصغيرة بساقه وأطلقيه من

نافذتكِ. سيعود إليّ حاملاً أنباءكِ وتعليماتي." ثم نظرت إليها بجدية. "أما الشراب... فسأحضره بنفسي. يجب أن يكون جاهزًا قبل أن تطأ قدماكِ أرض القصر."

في تلك اللحظة، شعرت مانا بقوة غريبة تسري في عروقها. الخوف لم يتبدد تمامًا، لكن عزيمتها كانت أقوى. نظرت إلى مهروان بعيون مصممة، وقالت بصوت واثق "سأفعل ما بوسعي."

عندما عادت مانا إلى كوخهما المتواضع، كانت تحمل بين يديها قطعة القماش القرمزية المتوهجة كجمرة نار هادئة. ما إن وقعت عينا وردانة عليها، حتى انبهرت بجمالها الآسر، كأنها قطعة من شفق الغروب تجسدت نسيجًا. "يا أختي! ما هذا الجمال؟ من أين لكِ بهذه الرائعة؟" سألت وردانة بذهول، وهي تمد يدها لتلمس النسيج الناعم الذي يشع بريقًا خافتًا.

"إنها هدية من مهروان،" أجابت مانا بصوت هادئ.

ما إن سمعت وردانة اسم مهروان، حتى ارتعدت فرائصها، وسقطت قطعة القماش من بين يديها كأنها جمرة ملتهبة. "مهروان؟ تلك المشعوذة! يجب أن نحرقها يا مانا، فورًا! رغم جمالها الساحر، لا بد أنها تحمل شرًا دفينًا."

نظرت مانا إلى شقيقتها بعينين ثابتتين. "وردانة، أهل نيلام يتحدثون عن أشياء كثيرة لا يفهمونها. مهروان ليست كما يصورونها. لقد كانت طيبة وكريمة معي، وأنا أثق بها. أتوسل إليكِ يا أختي الغالية، أن تحيكي هذه القطعة فستانًا يليق بجمالها، فستانًا يخرج من بين يديكِ المباركتين. وعندما تنتهين، سأخبركِ بشيء سيغير كل شيء."

تنهدت وردانة بتوجس، لكن حبها لأختها وإيمانها بحدسها كان أقوى من مخاوفها. جلست خلف مكنة الخياطة القديمة، وعيناها تتفحصان النسيج القرمزي بعجب وتردد.

أما مانا، فانسحبت إلى غرفتها الصغيرة، وألقت بجسدها المنهك على السرير. بدأت تستعرض في خيالها خطة مهروان الجريئة للتسلل إلى قصر الحاكم، كأنها ترسم خريطة لمسار محفوف بالمخاطر. وبينما كانت تغوص في أعماق التفكير والتخطيط، لمع في ذاكرتها وجه كادي الوسيم، وصوته الدافئ، ووعده بالعودة. انتابها قلق مفاجئ من إمكانية ظهوره في نيلام في أثناء غيابها.

نهضت مانا مسرعة من السرير، وخطت على قطعة من الرق رسالة قصيرة وموجزة، لتتركها مع وردانة في حال عاد الفارس الغريب باحثًا عنها:

"كادي... اضطررت لمغادرة نيلام لفترة قد تطول. ذهبتُ لأسترد حق أمي وأحرر والدي المسجون. إن قرأت رسالتي هذه، فاترك لي عنوانًا أستطيع مراسلتك عليه فور عودتي إلى نيلام... مانا"

لم تشأ مانا أن تكشف لكادي تفاصيل خطتها المحفوفة بالمخاطر، تاركةً كلماتها مبهمة ومليئة بالشوق للقائه مرّة أخرى.

بين أنامل وردانة الماهرة، تحولت قطعة القماش القرمزية إلى فستان ساحر، ينبض بجمال أخاذ وسر خفي. كان النسيج يتدفق بنعومة كشلال من الضوء الأحمر الداكن، مطرزًا بخيوط ذهبية دقيقة تشكل أنماطًا غريبة وكأنها

تعويذات مكتوبة بلغة النجوم. عندما ارتدته مانا، بدا وكأنه قطعة من الليل المتوهج تحت ضوء القمر، يلتف حول قامتها برشاقة ويبرز جمالها الفاتن. كان الفستان يومض ببريق خافت كلما تحركت، وكأن سحرًا دفينًا يسري في طياته، ينتظر اللحظة المناسبة ليُعلن عن قوته.

بعد أن انتهت وردانة من حياكة الفستان الساحر، جلست مانا بجانبها، وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن تكشف لها عن الخطة التي رسمتها لها مهروان. قصت عليها حكاية العجوز المشعوذة مع الحاكم الظالم، وكيف أن لديهما هدفًا مشتركًا. شرحت لها فكرة التسلل إلى القصر كخادمة، والشراب المسحور، والرقصة المنتظرة مقابل الحرية لوالدهما واستعادة حقوق مهروان.

في البداية، ارتعدت وردانة خوفًا من هذه الخطة المحفوفة بالمخاطر، لكن إصرار مانا وعزيمتها الصلبة بددتا بعضًا من مخاوفها. وبعد عناء طويل وتوسلات من مانا، وافقت وردانة أخيرًا على ذهاب أختها إلى القصر، لكن بشرط واحد لا تراجع عنه: أن يصطحبها زمزم معها.

زمزم، صديق طفولة مانا الوفي، كان شابًا طيب القلب ومحبًا لها، لكن ذكاءه كان محدودًا بعض الشيء. خشيت مانا من أن يؤدي تصرفه الطائش أو

كلماته الحمقاء إلى فضح أمرها في قصر الحاكم. لكن وردانة، التي كان خوفها على أختها الصغرى يفوق أي اعتبار آخر، هددتها بلهجة قاطعة: "إن لم يصطحبك زمزم إلى هناك يا مانا، سأحرق هذا الفستان الجميل، ولن أسمح لكِ بالذهاب."

لم يكن لدى مانا خيار آخر. أدركت أنها مضطرة لأخذ زمزم معها، رغم كل المخاطر المحتملة. زمزم، الشاب المرح الذي يكن لمانا مشاعر صادقة، كان لديه بعض الخصال التي تثير قلقها. كان يعشق الطعام بجنون ولا يستطيع تحمل الجوع ولو للحظة، كما أنه كان جبانًا يخاف من ظلال الليل وهمسات الرياح وقصص الأشباح والحشرات الطائرة. يا لها من رفقة ستكون في قصر حاكم البلاد!

CHAPTER 03

الفصل الثالث

مع بزوغ فجر يوم جديد، ونيلام الزرقاء تستفيق من سباتها تحت أشعة الشمس الذهبية، وقفت مانا بزهوها في فستانها القرمزي الساحر، الذي حاكته وردانة بخيوط الأمل والسحر الخفي. بجانبها، زمزم يبتسم بحماسة طفل ينتظر لعبة جديدة، وعلى مقربة منهما، ينتظر شَكْلُوب، حماره الكسول ذو المظهر المُضحك والعيون النعسانة.

كان شَكْلُوب حمارًا بنيًا باهتًا، علامات التراخي بادية عليه، أذناه متدليتان بلا حياة، وفروه أشعثًا، وحركته تبعث على السأم. ارتقى زمزم ظهره بصعوبة، يتمايل كشجرة في مهب الريح بسبب وزنه الزائد، ليطلق شَكْلُوب تنهيدة عميقة كأنه يستغيث من هذا الثقل المفاجئ.

"هيا يا شَكْلُوب! نحو المجهول!" هتف زمزم بحماس، وهو يربت على عنق الحمار بيده الضخمة، لكن شَكْلُوب لم يُبدِ أي حماس، وتحرك ببطء مُذِلّ كأنه يسحب قدميه المثقلتين بالكسل.

نظرت مانا إلى زمزم وشَكْلُوب بابتسامة باهتة. كانت تعلم أن هذه الرحلة لن تكون نزهة. "تذكر يا زمزم، الحذر رفيقنا والصمت درعنا. وجهتنا قصر الحاكم في المدينة البعيدة."

"لا تقلقي يا مانا! بطل الأبطال زمزم هنا سندكِ ودرعكِ!" قال زمزم بثقة زائفة، بينما كان يمسك بعنان شَكْلُوب الذي توقف فجأة ليلتهم حفنة من العشب الأخضر على جانب الطريق.

وفي الأعلى، في سماء نيلام الزرقاء، حلق أزرا بجناحيه الأسودين القويين. كان يرافق الرحلة كعين ساهرة لمهروان، يراقب تحركات مانا وزمزم من الأعلى، ينقل أخبارهم وهمساتهم إلى العجوز المشعوذة على التلة.

لحماية زمزم من نوبات الجوع المفاجئة، أعدت وردانة زادًا وفيرًا: خبزًا طازجًا، وقطعًا من الجبن المعتق، وبعض الفواكه المجففة، وقربة ماء بارد. حمل زمزم هذه المؤونة بفخر، وكأنه يحمل كنزًا ثمينًا، يتطلع إلى اللحظة التي سيتمكن فيها من التهام هذه الخيرات.

هكذا بدأت رحلة مانا وزمزم على ظهر شَكْلُوب الكسول، يرافقهم من السماء أزرا الحارس الصامت، وزاد وفير أعدته وردانة بحب وقلق. كانت الطريق أمامهم طويلة ومليئة بالأسرار، وكانت مغامراتهما على وشك أن تتكشف، تحمل في طياتها الأمل والخطر واللمسة الساخرة التي سيضفيها هذا الرفيق ذو الأربع أرجل وشهيته التي لا تشبع.

اقتربت وردانة من مانا، خطاها مثقلة بالخوف والقلق. رفعت يدها ببطء وتردد، وكأنها تلمس حلمًا تخشى أن يتبدد، وداعبت خصلات شعر مانا الشقراء المتدلية على كتفيها، تلك الخيوط الذهبية التي لطالما كانت تضفي

نورًا على حياتهما. كانت أناملها ترتجف برقة وهي تتتبع لمعان الشعر في ضوء الصباح الخافت.

"يا صغيرتي..." همست وردانة بصوت مخنوق، وعيناها تترقرقان بالدموع. "كوني حذرة. حذرة جدًا يا مانا. قصر الحاكم ليس مكانًا آمنًا، وبهرام... بهرام قلب قاسٍ لا يعرف الرحمة. أخشى عليكِ يا أختي، أخشى ألا تعودي."

انحدرت دمعة ساخنة على خد وردانة الشاحب، وتبعها أخرى، لتترك خطًا لامعًا على بشرتها. حضنت مانا شقيقتها الكبرى بحنان، وشعرت بقلبها ينقبض لرؤية هذا الخوف العميق في عينيها.

"سأعود يا وردانة،" قالت مانا بصوت واثق، رغم القلق الذي يعتمل في داخلها. "سأعود ومعي والدي. يجب أن نكون قويتين. تذكري "ليل"، أمي كانت دائمًا تقول لنا أن نور الأمل لا ينطفئ أبدًا حتى في أحلك الظروف."

لكن كلمات مانا لم تستطع تبديد كل مخاوف وردانة. ظلت الدموع تنهمر من عينيها بصمت، وهي تتشبث بأختها الصغيرة وكأنها تحاول أن تحميها من قدر محتوم. كان هذا الوداع مرًا، ممزوجًا بالأمل والقلق، بينما كانت مانا تستعد للانطلاق في رحلتها المحفوفة بالمخاطر نحو عرين الأسد.

بعد لحظات مؤثرة من الوداع والقلق المتبادل، انفصلت الأختان. صعدت مانا بجانب زمزم على الطريق الترابي المتعرج، بينما كان شَكْلُوب يسير بخطواته البطيئة المعتادة، وكأنه يحمل على ظهره عبء العالم. لوحت وردانة لهما بيد مرتجفة حتى اختفيا عن ناظرها خلف منعطف الطريق، وظلت واقفة تراقب الغبار المتصاعد في الأفق، وقلبها يدعو لهما بالسلامة.

كان الصباح قد تغلغل بنوره الذهبي في أرجاء نيلام الزرقاء، لكن قلب مانا كان يحمل غيومًا من التوتر. كانت تنظر إلى الأمام بعزم، تتخيل لقاءها بوالدها المحبب وهو يخرج من أسوار السجن، لكن في زاوية أخرى من قلبها، كان شبح كادي يلوح، وصدى وعده بالعودة يتردد في أذنها. كانت تتساءل عن حقيقته، وعما إذا كانت ستراه مجددًا تحت هذه الظروف المعقدة.

أما زمزم، فكان مبتهجًا بالرحلة، يتناول من زاده بين الحين والآخر ويطلق النكات الساذجة التي لم تنجح دائمًا في رسم ابتسامة على وجه مانا القلق. كان يتوقف على نحو متكرر ليستريح شَكْلُوب الذي كان يتذمر تحت وطأة وزنه، ويستغل تلك التوقفات لاستكشاف جوانب الطريق والتعليق بصوت عالٍ على كل ما يراه، غير مدرك تمامًا للجدية والخطورة التي تنطوي عليها مهمتهما.

في الأعلى، كان أزرا يحلق في سماء نيلام الصافية، يتبعهما كظل أسود صامت، ينقل كل تحركاتهما وهمساتهما إلى مهروان التي كانت تنتظر في كوخها على التلة، تراقب سير الأحداث بعينين ثاقبتين وقلب مليء بالترقب والانتقام. الرحلة إلى قصر الحاكم قد بدأت، وكانت تحمل في طياتها مصائر متشابكة وأسرارًا دفينة على وشك الانكشاف.

بعد أيام وليالٍ طوال، امتدت كأزمنة صغيرة في ذاكرتهما، بدأت تلوح في الأفق البعيد ملامح المدينة التي تحتضن قصر الحاكم كقلعة حصينة. لم تكن الرحلة نزهة مريحة على ظهر شَكْلُوب الكسول. ففي النهار، كان حر الشمس الحارق يلسع بشرتهما، ويجعل شَكْلُوب يئن تحت ثقل زمزم، متوقفًا مرارًا وتكرارًا للبحث عن ظل شجرة أو بركة ماء صغيرة. كانت مانا تسير بجانبهما معظم الوقت، صبرها ينفد وهي تحث زمزم على عدم إطعام الحمار بنصف مؤونتهما قبل الوصول إلى وجهتهم.

أما في الليل، فكان الخوف يزحف من بين الظلال الطويلة والأصوات الغريبة للغابة. كان زمزم يرتجف عند سماع نعيق بومة أو حفيف أوراق الشجر، ويتشبث بمانا بخوف طفولي، متخيلًا قصص الأشباح التي كان يسمعها في

نيلام. كانت مانا تحاول طمأنته بكلمات هادئة، بينما عينها تراقب الظلام المحيط بهما بحذر.

نقص الطعام والماء بدأ يلوح في الأفق كخطر حقيقي. مؤونة وردانة الوفيرة بدأت تتناقص تدريجيًا، وزمزم لم يستطع مقاومة إغراء التهام حصته وحصة شَكْلُوب في وقت مبكر من الرحلة. اضطرت مانا لتقنين الطعام والبحث عن مصادر مياه عذبة على طول الطريق، وهو ما لم يكن دائمًا بالأمر السهل.

واجهوا أيضًا بعض اللقاءات المقلقة. مرة، مروا بمجموعة من قطاع الطرق الذين نظروا إليهما بشك، ولولا فطنة مانا وسرعة بديهتها في التظاهر بأنهما مجرد مسافرين فقيرين، لربما تعرضا للخطر. وفي ليلة أخرى، كاد حيوان مفترس أن يهاجم شَكْلُوب أثناء نومهما، لولا نباح كلب ضال أيقظهما في الوقت الملائم.

رغم كل هذه المصاعب، كان الأمل في لقاء والد مانا يضيء طريقهما. كانت مانا تتخيل تلك اللحظة مرارًا وتكرارًا، وهذا ما كان يمنحها القوة لمواصلة السير. أما زمزم، فبين نوبات خوفه وجوعه، كان ولاؤه لمانا يدفعه للمضي قدمًا، حتى لو كان ذلك يعني تحمل مشقة السفر على ظهر شَكْلُوب العنيد.

أخيرًا، وبعد أيام وليالٍ من التعب والترقب، بدأت تظهر أسوار المدينة الشاهقة كجبال صماء في الأفق البعيد. كان الضجيج الخافت يصل إليهما كهمس بعيد، ينبئ بعالم مختلف ينتظرهما. التوتر في قلب مانا ازداد، بينما زمزم بدأ يستعيد حماسه المعهود أمام وعد المدينة بالكثير من الطعام والمغامرات الجديدة.

بينما كان شَكْلُوب يتهادى بخطواته المترددة تحت عبء زمزم، وخيوط الشمس الذهبية تتسلل بخجل بين أغصان الأشجار العتيقة على جانبي الطريق، خيّم سكون ثقيل على الأجواء. زمزم، الذي اعتاد ملء الفراغ بحديثه الطائش ونكاته الساذجة، كان صامتًا هذه المرة، ربما لأن براثن الجوع الخفية بدأت تشتد حول معدته، رغم محاولاته التغاضي عنها.

رفعت مانا صوتها، الذي كان ينساب عذبًا كخرير جدول رقراق يداعب الحصى الملون، وبدأت تنشد لحنًا بسيطًا ورثته عن والدتها "ليل"، كانت ترددّه لها في ليالي نيلام الزرقاء الهادئة. كلمات الأغنية، التي كانت تترجم حنين قلبها وأملها الضائع، ارتفعت حزينة وشجية:

"يا ريح الشمال، هبي بلطفٍ ووداعة،

احملي شذى الياسمين إلى نيلام النور.

عانقي أهلي، خبريهم أن الشوق ما فتر،

وأن فجر اللقاء قريبٌ يطرد الديجور.

يا قمرًا ساطعًا في سماء الذكريات،

أرسل طيفًا من نورك يهديني الثبات.

قريبًا ينتهي هذا البعد القاسي،

ويعود الفرح يملأ ربوع الحكايات."

كان صوت مانا الرقيق يتردد في الفضاء، يحمل معه مسحة من سحر نيلام الأزرق وحنينًا عميقًا للوطن. زمزم، الذي كان يستمع بإنصات وذهول، شعر بسكون غريب يتسرب إلى قلبه المضطرب، وتراجع إلحاح الجوع قليلًا أمام هذا النغم الشجي الذي لامس روحه البسيطة. حتى شَكْلُوب خطا بخطوات أبطأ من عادته، وكأنه يستسلم لسحر اللحن العذب الذي يملأ الأجواء.

لكن هدوء الطريق لم يستمر طويلًا. فجأة، انشق صمت الغابة بظهور رجل أحدب ذو ساق خشبية، ملامحه مشوهة بغضب وهيستيريا. كانت عيناه تقدحان بجنون، وملابسه الرثة الممزقة تشي بحياة قاسية وعقل مضطرب.

كان يحمل سيفًا صدئًا بيده المرتعشة، واندفع نحوهما بخطوات متسارعة كوحش كاسر.

"توقفا أيها الغريبان!" زمجر بصوت أجش كهدير الرعد. "من أنتما؟ وماذا تفعلان في ملكي؟ هذا طريقي وحدي!"

ارتعدت أوصال زمزم خوفًا، وتشبث بظهر شَكْلُوب المذعور، بينما تجمدت مانا في مكانها للحظة، تحاول إخفاء الرعب الذي تملك قلبها. "نحن مسافران

مسالمان يا سيدي، في طريقنا إلى المدينة،" أجابت بصوت هادئ، لكنه كان يحمل رعشة خفية.

لكن الأحدب ذا الساق الخشبية لم يكن ليصغي. "أنتِ! يا صاحبة الصوت الملائكي! غني لي! أريد أن أرتوي من هذا اللحن الساحر مرة ثانية وثالثة ورابعة!" كانت نظراته مثبتة على مانا بهوس غريب، كأنه رأى فيها كنزًا ثمينًا لا يريد أن يفقده.

لم يكن أمام مانا وزمزم خيار آخر سوى الاستسلام لجنون هذا الرجل. أجبرهما على النزول عن شَكْلُوب واقتادهما إلى كوخ خشبي مهجور يقع في قلب الغابة الموحشة. كان الرجل يتصرف بتقلب شديد، يتحدث بكلام غير مترابط، يتناوب بين التهديد والتوسل، ويشهر سيفه الصدئ عشوائيًا. كان يجبر مانا على الغناء له بشكل متكرر، يستمع إليها بعينين زائغتين كأنه يحاول القبض على شيء يفلت منه دائمًا.

في أثناء ذلك، كان أزرا قد حلق بجناحيه القويين عائدًا إلى كوخ مهروان على التلة. كان نعيقه هذه المرة يحمل نبرة قلق وإنذار. استمعت مهروان إلى صوت غرابها الأمين، وعرفت أن خطتها تواجه خطرًا لم تحسب حسابه. فشعرت بقلبها ينقبض. لأن صوت أزرا حمل نبرة إنذار واضحة، ونقل صورة

مانا وزمزم وهما أسيران في قبضة خطر غير متوقع. تجعد وجه مهروان العتيق بعبوس، وعيناها السوداوان لمعتا ببريق قلق.

"يا له من طارئ لم نحسب حسابه!" همست مهروان لنفسها وهي تربت على رأس أزرا برفق. لكن للحظة، ارتسمت على شفتيها ابتسامة خافتة، كأنها تذكرت شيئاً. "لكن مانا ليست بالصيد السهل. في عيني تلك الفتاة الصغيرة شرارة ذكاء وعزيمة لا تنطفئ بسهولة. ستجد طريقًا للخروج من هذا المأزق."

ثم نظرت إلى أزرا بعزم وأمرته بنبرة واثقة: "عد يا أزرا. عد إلى مانا وطمئنها. أخبرها أن عيني تراقبها وأن قوتي معها. لا تخف يا عزيزي، صغيرتي ستنجو بذكائها." أطلق أزرا نعيقًا مطمئنًا وحلق بجناحيه القويين عائدًا في اتجاه الغابة.

في الكوخ الموحش، بينما كان الرجل الأحدب ذو الساق الخشبية يتأرجح بسيفه الصدئ وهو يراقب مانا وزمزم بعينين زائغتين تقدحان جنونًا، كانت مانا تفكر بسرعة. كان الرجل ضخم الجثة، وملامحه مشوهة بهوس غريب، وساقه الخشبية تحدث قرقعة مخيفة على أرض الكوخ الترابية كلما تحرك. كان يجبر مانا على الغناء بشكل متكرر بصوته الأجش وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة.

في لحظة شرود من الرجل الأحدب، بينما كان يتناول قطعة خبز جافة بيده الضخمة، تذكرت مانا الزجاجة الصغيرة التي أعطتها إياها مهروان. بحذر شديد، انحنت وهمست لزمزم بتنفيذ خطتها. عندما عاد الرجل الأحدب وأمرها بالغناء من جديد، تظاهرت مانا بالعطش وطلبت منه شربة ماء. نظر إليها الرجل بشك لكنه وافق على مضض.

ببطء وتوتر، سكبت مانا جزءًا صغيرًا من الشراب ذي الرائحة النفاذة في الإناء الخشبي الذي كان يشرب منه الرجل. ناولته الإناء بيديها المرتعشتين، وراقبته بقلب يخفق بعنف وهو يرتشف منه بجرعة كبيرة.

بعد لحظات قليلة، بدأت تظهر على الرجل الأحدب أعراض غريبة. بدأ يسعل بعنف، وتشنجت ساقه الخشبية بعصبية. تحول وجهه الشاحب إلى لون رمادي مزرق، وعيناه اللتان كانتا تشتعلان بالهوس انطفأ فيهما البريق وتحولتا إلى نظرتين زائغتين مملوءتين بالرعب والذهول. بدأ يتمتم بكلمات غير مفهومة ويتلوى على الأرض كأنه يعاني عذاب داخلي.

استغلت مانا وزمزم حالة الفوضى التي انتابت الرجل الأحدب. قفزا بسرعة وركبا شَكْلُوب الذي كان مربوطًا بالقرب من الكوخ، وانطلقا بأقصى سرعة يقدر عليها الحمار الكسول بعيدًا عن ذلك المكان المشؤوم، تاركين خلفهما أنين الرجل وسعال اللعنة التي بدأت تسري في جسده. وفي الأعلى، وصل أزرا ليحلق فوقهما، وكأن نعيقه يحمل بشرى النجاة.

بينما كان شَكْلُوب يركض بهما بعيدًا عن الكوخ المشؤوم، تاركًا خلفهما أنين الرجل الأحدب يتلاشى في هدير الرياح بين الأشجار، شعرت مانا بارتياح ممزوج بالخوف. لقد نجوا من خطر محدق بفضل فطنتها وسحر مهروان،

لكنهما كانا يعلمان أن الرحلة لم تنته بعد، وأن قصر الحاكم لا يزال ينتظرهما كوحش يتربص بفرائسه.

نظر زمزم إلى الخلف بخوف، وعيناه لا تزالان تحملان صورة الرجل الأحدب المتلوّي على الأرض. "يا إلهي! ما الذي أصابه؟ هل هو... هل هو سحر؟" تمتم بصوت مرتعش.

أومأت مانا برأسها بجدية. "إنه دواء مهروان... أو بالأحرى، لعنتها. لقد أنقذنا، لكن هذا يذكرنا بالقوة التي نتعامل معها."

في الأعلى، كان أزرا يحلق فوقهما، وكأن وجوده يمنحهما شعورًا بالأمان. بعد مسافة طويلة، عندما تأكدت مانا أنهما ابتعدا بما فيه الكفاية عن الكوخ، أبطأت من سرعة شَكْلُوب. كان الحمار المسكين يلهث بتعب، لكنه استمر في السير بإصرار غريب.

توقفوا بجانب جدول ماء صغير ليستريحوا ويشربوا. كان قلب مانا لا يزال يخفق بسرعة، لكن عقلها بدأ يستعيد رباطة جأشه. كانت تفكر في الخطوة التالية. لقد اقتربوا من المدينة، وكان يجب عليهما الآن التخطيط لدخولهما إلى القصر بحذر وذكاء.

كانت أسوار المدينة الشاهقة ترتفع أمامهما كحاجز صامت، وبواباتها الضخمة تبدو كعيون تراقب الداخل والخارج بجمود. توقف شَكْلُوب عن السير وكأنه يستشعر التوتر المتصاعد في قلب مانا. نظرت الفتاة الشابة إلى القصر البعيد، تتخيل والدها سجينًا خلف تلك الجدران، وعزمت على تنفيذ خطتها بأي ثمن.

"يا زمزم يا بطل الأبطال،" همست مانا بصوت منخفض، وعيناها مثبتتان على بوابات القصر. "يجب أن نكون حذرين عند الاقتراب. ستقوم أنت بالخطوة الأولى."

زمزم، الذي كان يحاول استعادة رباطة جأشه بعد تلك المغامرة مع الرجل الأحدب، نظر إليها بقلق. "أنا؟ بطل الأبطال؟ ماذا علي أن أفعل؟"

"ستتقدم نحو حراس البوابة،" أوضحت مانا بهدوء، "وستسأل عن الخادمة التي تدعى 'أسرار'. ادّعِ أنك قريب لها وتحمل رسالة مهمة لها. سأبقى هنا على مسافة أراقب."

أومأ زمزم برأسه بتردد. لم يكن مرتاحًا لفكرة التحدث مع حراس القصر المهيب، لكنه لم يستطع رفض طلب مانا، خاصةً أنها نادته بطل الأبطال.

ترجل عن شَكْلُوب وبدأ يمشي بخطوات ثقيلة نحو البوابة الضخمة، بينما كانت مانا تراقب من بعيد، وقلبها يخفق بسرعة.

عندما وصل زمزم إلى حراس البوابة، وهما رجلان ضخمان يرتديان دروعًا لامعة ويحملان رماحًا طويلة، شعر برعب شديد يتسرب إلى أوصاله. كان ينظر إليهما بعيون واسعة مرتبكة، ولسانه يكاد يعجز عن الكلام.

"أ... أحم... سيدي الحارس..." تمتم زمزم بصوت بالكاد يُسمع. "أنا... أنا قريب... قريب... لخادمة هنا..."

رفع أحد الحارسين حاجبه بحدة ونظر إليه بشك. "القصر مليء بالخدم، من هي هذه الخادمة؟ وما شأنك بها؟"

ازداد ارتباك زمزم. اسم "أسرار" الذي حفظه بصعوبة تبخر من ذهنه تمامًا. حاول أن يتذكره يائسًا، لكن الكلمات تداخلت في رأسه. "إنها... إنها السيدة... أشرار؟ أو ربما... أخبار؟ نعم! قريب السيدة أخبار أنا!"

تبادل الحارسان نظرات ساخرة. ثم قهقه أحدهما بصوت عالٍ. "السيدة أشرار؟ السيدة أخبار؟ أي حماقة تتفوه بها يا هذا؟ لا توجد في قصر حاكم البلاد خادمة بهذا الاسم!"

نظر إليه الحارس الآخر بحدة ووضع يده على مقبض سيفه. "أغرب عن وجهنا أيها المتسكع الأحمق! إذا رأيتك تحوم حول القصر من جديد، سأقطع رأسك وأعلقه على البوابة ليكون عبرة لأمثالك!"

ارتعد زمزم خوفًا شل حركته. كانت كلمات الحارس تهديدًا واضحًا ومخيفًا. لم يتمالك نفسه، واستدار مسرعًا وركض بكل ما أوتي من قوة عائدًا إلى مانا التي كانت تنتظره بقلق على مسافة. كان وجهه شاحبًا وعيناه واسعتان من الرعب.

"لم ينجح الأمر يا مانا!" هتف وهو يلهث، وصوته يرتجف. "يبدو أن مهروان قد أخطأت، في القصر لا يوجد خادمة تدعى 'أشرار'."

تجمدت مانا في مكانها، تتفاجأ بكلامه الغريب. "أشرار؟" صاحت بغضب لم تستطع كبحه. "ومن قال لك أن الخادمة تدعى 'أشرار' يا أحمق؟"

تلعثم زمزم محاولًا تدارك الأمر. "لا... لا بل قلت لهم 'أخبار' وليس 'أسرار'، لكنهم غضبوا مني بشدة وهددوا بقتلي إن عدت."

ازداد غضب مانا من رد زمزم الأحمق. "اسمها 'أسرار' يا لك من أبله! 'أسرار'! ماذا فعلت يا زمزم؟ كيف سنخرج من هذه الورطة الآن؟ لقد أفسدت كل شيء!" كانت كلماتها تخرج حادة كسهام مسمومة، تعبر عن يأسها العميق.

وقف زمزم صامتًا، يرتعد خوفًا من غضب مانا ومن تهديدات الحراس. أدرك جسامة الخطأ الذي ارتكبه بلسانه الثقيل وعقله الشارد. كانت مانا تنظر إلى بوابات القصر الشاهقة بيأس، تشعر وكأن آخر خيوط الأمل بدأت تنقطع. كيف ستصل الآن إلى "أسرار" بعد أن لفت زمزم انتباه الحراس إليهما بطريقة كارثية؟ كانت تشعر بالإحباط والغضب يتنازعان قلبها، لكنها تعلم أنه ليس لديها وقت للاستسلام لليأس. يجب أن تجد طريقة أخرى، مهما كانت صعبة.

بينما كانت مانا تحاول استجماع أفكارها اليائسة، وتوبيخ زمزم الخائف بنظرات حادة، لمع في ذهنها فجأة خيط رفيع من الأمل. تذكرت وصف مهروان لأزرا بأنه سيكون ساعي بريدها الأمين. ربما يمكنها استخدامه الآن لإيصال رسالة سرية إلى "أسرار" داخل القصر.

نظرت مانا إلى السماء الزرقاء الصافية، وبحثت بعينيها عن الغراب الأسود. بعد لحظات قليلة، ظهر أزرا وهو يحلق على مقربة منهما، كظل أسود ينزلق في الهواء. أطلقت مانا صفيرًا خفيفًا كانت قد علمته إياها مهروان، وسرعان ما انخفض أزرا وهبط على شجرة قريبة.

بحذر شديد، أخرجت مانا قطعة صغيرة من الرق كانت تحملها معها وقطعة فحم صغيرة. بدأت تكتب رسالة موجزة إلى "أسرار"، تشرح فيها الوضع المحرج الذي تسبب فيه زمزم وتذكر اسم مهروان وتطلب منها المساعدة على إيجاد طريقة لدخول القصر. كانت كلماتها مقتضبة وحذرة، تخشى أن تقع الرسالة في الأيدي الخطأ.

عندما انتهت من كتابة الرسالة، ربطتها بعناية بساق أزرا النحيلة بخيط رفيع كانت تحمله معها. نظرت إلى الغراب الأسود وعينيها تفيضان بالأمل. "يا

صديقي، أوصل هذه الرسالة بأمان إلى السيدة 'أسرار' داخل القصر. أنت تعرف الطريق."

أطلق أزرا نعيقًا خفيفًا بدا وكأنه وعد بالطاعة، ثم فرد جناحيه الأسودين، وحلق باتجاه أسوار القصر الشاهقة، تاركًا مانا وزمزم ينتظران بقلق وترقب مصيرهما بين يدي هذا الرسول الطائر الغامض. كانت تعلم أن هذه هي فرصتهما الأخيرة، وأن نجاح مهمتهما يعتمد الآن على فطنة أزرا وتعاون الجارية "أسرار".

بينما كانت مانا وزمزم ينتظران بقلق تحت ظلال الأشجار الوارفة خارج أسوار المدينة، مرت لحظات ثقيلة كأنها دهر. كان الصمت يخيّم عليهما، لا يقطعه سوى حفيف الأوراق وهمسات الرياح العابرة. زمزم، الذي كان يشعر بالذنب والندم على حماقته والجوع أيضاً، كان يتجنب النظر إلى عيني مانا الغاضبتين، يتمتم بكلمات اعتذار غير مفهومة ويفرك يديه بعصبية. أما مانا، فكانت تحدق ببوابات القصر الشاهقة بعينين متوترتين، تراقب أي حركة أو إشارة قد تدل على وصول رسالة أزرا إلى وجهتها.

مرت ساعات طويلة، وبدأت خيوط الشمس الذهبية تميل نحو الغروب، لتصبغ السماء بألوان برتقالية وحمراء قاتمة. بدأ اليأس يتسلل إلى قلب مانا، وتساؤلات مقلقة تتردد في ذهنها: هل وصل أزرا بأمان؟ هل استطاعت "أسرار" قراءة رسالتها؟ وهل ستجازف هذه الجارية المجهولة بمساعدتهما؟

فجأة، وبينما كانت مانا على وشك أن تفقد الأمل، لمحت حركة خفيفة بالقرب من البوابة الجانبية الصغيرة للقصر، وهي بوابة غالبًا ما تستخدم لدخول الخدم والموردين. كانت امرأة عجوز ترتدي ملابس بسيطة ونظيفة تقف بالقرب من البوابة، وتنظر حولها بتوجس وحذر. كان وجهها يحمل آثار الزمن والتعب، لكن عينيها العميقتين كانتا تبرقان بذكاء وفطنة.

شعرت مانا بنبض قلبها يتسارع. كان هناك شيء في نظرة تلك المرأة يوحي بأنها قد تكون "أسرار". أخذت نفسًا عميقًا وهمست لزمزم "هذا قد يكون مفتاحنا. ابق هنا وتصرف بهدوء."

تحركت مانا بخطوات ثابتة نحو المرأة العجوز، تحاول أن تبدو واثقة وغير مريبة. عندما اقتربت منها، ابتسمت لها ابتسامة خفيفة وقالت بصوت منخفض "السلام عليكِ يا سيدتي. هل أنتِ... هل أنتِ 'أسرار'؟"

نظرت إليها المرأة العجوز بعينين فاحصتين للحظة، ثم أجابت بصوت هادئ حذر "ومن أنتِ؟ وكيف عرفتِ اسمي؟ هنا ليس مكانًا آمنًا للحديث."

أدركت مانا أنها يجب أن تكون حذرة. "لدي رسالة لكِ من صديقة مشتركة... امرأة حكيمة تعيش على التلة خارج نيلام."

عند سماع اسم نيلام والتلة، تغيرت نظرة المرأة العجوز. ارتخت ملامح وجهها قليلًا، ونظرت حولها بتوتر أقل. "تعالي معي بسرعة،" همست وهي تشير إلى البوابة الجانبية. "ليس لدينا الكثير من الوقت."

تبعتها مانا عبر البوابة الصغيرة، تاركة زمزم ينتظر بفارغ الصبر تحت الأشجار. دخلت مع المرأة العجوز إلى دهليز مظلم وضيق، ثم إلى غرفة صغيرة

متواضعة تقع في الجزء الخلفي من القصر. كانت الغرفة بسيطة، لكنها نظيفة ومرتبة، تفوح منها رائحة الأعشاب المجففة والبخور الخفيف.

"أنا 'أسرار'،" قالت المرأة العجوز أخيرًا بعد أن تأكدت من أنهما وحدهما. "لقد وصلني رسولكِ الطائر. أخبريني بسرعة، ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟ وما علاقتكِ بمهروان؟"

بدأت مانا تروي قصتها بسرعة وهمس، تشرح لها سجن والدها الظالم، ولقاءها بمهروان، والخطة الجريئة للتسلل إلى القصر، وشرحت لها دورها في إيصالها إلى الحاكم.

أصغت "أسرار" إلى كلماتها بعينين تحملان مزيجًا من الدهشة والقلق. عندما انتهت مانا، تنهدت العجوز وقالت بصوت حزين: "يا لها من قصة مؤلمة! لقد عرفت والدكِ، كان رجلاً طيبًا ومحبوبًا. وبهرام... لقد جلب الظلام إلى هذا القصر. لقد كنت أخدم هنا لسنوات طويلة، ورأيت الكثير من الظلم والقسوة."

ثم نظرت إلى مانا بعزم وقالت "سأساعدكِ يا ابنتي. ديني لمهروان قديم، وقلبي يتوق إلى رؤية العدالة تتحقق. سأدبر أمر دخولكِ إلى القصر كخادمة

جديدة. كوني حذرة وتابعي تعليماتي بدقة. هذه ليست مهمة سهلة، لكننا سنفعلها معًا."

"لكن ماذا عن صديقي وعن الحمار؟" سألت مانا "لا يمكنني تركهما عرضة للخطر خارج الأسوار."

تنهدت "أسرار" وهي تفكر للحظة، وعيناها تتجولان في أرجاء الغرفة الصغيرة. "إدخال حمار إلى القصر سيكون أمرًا صعبًا للغاية، وقد يثير الشبهات فورًا. لكن ترك صديقك بالخارج قد يكون أكثر خطرًا. لدي فكرة، وإن كانت محفوفة بالمخاطر."

أشارت "أسرار" إلى نافذة صغيرة تطل على فناء خلفي مهجور غالبًا ما يستخدم لتخزين أدوات التنظيف القديمة وبعض الخردة. "في هذا الفناء، هناك إسطبل صغير مهجور. يمكن لصديقك أن يتظاهر بأنه عامل مكلف بإصلاحه أو تنظيفه. سأدبّر بعض الأدوات القديمة وملابس عمل بسيطة له. أما بالنسبة للحمار، فيمكن إخفاؤه داخل الإسطبل مؤقتًا. يجب أن يكون صديقك حذرًا ويتجنب لفت الانتباه أو التجول في أنحاء القصر دون سبب واضح."

شعرت مانا ببعض الارتياح لهذه الخطة، رغم ما تنطوي عليه من مخاطرة. "شكرًا لكِ يا سيدتي 'أسرار'. أنتِ حقًا ملاذنا في هذا المكان الغريب."

"لا وقت للشكر الآن،" قالت "أسرار" بجدية. "يجب أن نتحرك بسرعة قبل أن يحل الظلام الدامس، ويثير وجودكما الشك. سأحضر بعض الملابس والأدوات لصديقك، وسأرتب أمر دخوله إلى الفناء الخلفي بطريقة لا تثير الانتباه. أما أنتِ، فسأدبر لكِ ملابس خادمة بسيطة وبعض المهام الأولية في المطبخ. سيكون ذلك أفضل غطاء لكِ في البداية."

بعد فترة وجيزة، عادت "أسرار" ومعها ملابس عمل رثة وأدوات تنظيف قديمة لزمزم. شرحت له باختصار دوره وكيف يجب أن يتصرف، وشددت عليه على ضرورة الصمت وتجنب أي تواصل غير ضروري مع حراس القصر أو الخدم الآخرين. كان زمزم خائفًا ومتوترًا وجائعاً، لكنه أدرك أنه لا يوجد لديه خيار آخر سوى التعاون.

بقي شَكْلُوب مختبئًا خلف بعض الشجيرات الكثيفة، بينما تسلل زمزم بحذر إلى الفناء الخلفي وبمساعدة "أسرار" التي فتحت له بوابة صغيرة غير مراقبة. أُخْفِي الحمار بصعوبة داخل الإسطبل المهجور بين أكوام القش القديمة والأدوات الصدئة.

أما مانا، فقد ارتدت ملابس خادمة بسيطة أخفت جمالها الأخاذ وفستانها السحري، واتبعت "أسرار" عبر ممرات القصر المضيئة بالشموع والمليئة بالهمسات الخافتة للخدم. كانت تشعر وكأنها تدخل إلى عالم آخر، عالم من المؤامرات والأسرار والقوة المتغطرسة. كان قلبها يخفق بقوة تحت ثوب الخادمة المتواضع، مزيج من الخوف والأمل والعزم على إنقاذ والدها وتحقيق العدالة.

وصلت مانا و"أسرار" إلى مطبخ القصر الصاخب، حيث كانت النيران تشتعل في المواقد الكبيرة والروائح الشهية تختلط بالضجيج. قدمت "أسرار" مانا إلى رئيسة الخدم كامرأة قروية تبحث عن عمل، وكُلّفت ببعض المهام البسيطة في تنظيف الخضروات وغسل الأواني. كانت مانا تراقب كل شيء حولها بعينين يقظتين، تحاول استيعاب تفاصيل هذا المكان الذي سيشهد فصلًا حاسمًا في حياتها.

في تلك اللحظات، بينما كانت مانا تبدأ عملها كخادمة متخفية في قلب قصر الحاكم، وزمزم يختبئ في الفناء الخلفي مع شَكْلُوب، كانت مهروان تجلس في كوخها على التلة، تراقب السماء الملبدة بالنجوم، وعيناها الثاقبتان

تتجهان نحو القصر البعيد. كانت تعلم أن اللعبة قد بدأت، وأن مصائر الجميع أصبحت الآن معلقة بخيوط دقيقة من الحذر والذكاء والسحر الخفي.

في تلك الليلة الهادئة التي خيمت على نيلام الزرقاء، بينما كانت مانا قد وطأت قدميها أرض قصر الحاكم، وصل فارس وحيد إلى مشارف القرية. كان كادي، الذي لم يستطع أن يمحو صورة الفتاة ذات العينين الزرقاوين من ذاكرته، يحمل معه هدايا متواضعة ولكنه اختارها بعناية: وشاحًا من الحرير الناعم بلون زهور الربيع لمانا، وعقدًا بسيطًا من الخرز اللامع لوردانة. كان قلبه يخفق بالشوق لرؤية مانا من جديد، ليطمئن عليها وليشكرها على لطفها وشجاعتها.

عندما وصل كادي إلى الكوخ المتواضع، كانت وردانة هي من استقبلته بترحيب بارد ممزوج بالقلق. كانت عيناها تحملان حزنًا خفيًا، وملامح وجهها شاحبة. استغرب كادي لغياب مانا، وسأل عنها بلهفة.

أخذت وردانة نفسًا عميقًا وسلمته رسالة مطوية بعناية. "لقد تركتها لك مانا قبل مغادرتها."

فتح كادي الرسالة بيده المرتجفة، وقرأ الكلمات الموجزة التي خطتها مانا. وبين سطورها القليلة، أدرك الحقيقة المرّة: مانا لم تذهب في رحلة عادية.

لقد غادرت نيلام بدافع الانتقام لوالدتها واستعادة والدها المسجون. شعر كادي ببرودة تسري في عروقه وهو يستوعب معنى كلماتها. لقد ذهبت لمواجهة والده، الحاكم بهرام.

في تلك اللحظة، لمعت في ذهنه حقيقة أخرى مؤلمة. تذكر اللحظة التي لدغته فيها العقرب السامة في الغابة، واليد الرقيقة التي قدمت له العون والدواء. كانت يد مانا. الفتاة التي أنقذت حياته هي نفسها التي تسعى الآن للانتقام من والده.

شعر كادي بدوامة من المشاعر المتضاربة تجتاح قلبه. كان هناك الامتنان العميق لمانا التي أنقذت حياته، والخوف الشديد من اللحظة التي سيعود فيها كادي إلى القصر، وتكتشف مانا حقيقته المرة، فالرجل الذي أنقذت حياته هو ابن جلاد والدها.

وقف كادي أمام كوخ وردانة، والرسالة ترتجف في يده، وعيناه تحدقان في الأفق المظلم. أدرك أن مصيره ومصير مانا قد تشابكا بصورة معقدة وخطيرة. العودة إلى القصر الآن تحمل معنى مختلفًا تمامًا. لم يعد الأمر مجرد العودة إلى حياته الأميرية، بل كان مواجهة حتمية مع الفتاة التي أسرت قلبه والتي تحمل في قلبها نار الانتقام من عائلته. كانت نيلام الزرقاء تحتضن سرًا ثقيلاً، وقصر الحاكم كان على وشك أن يشهد مواجهة دامية بين الحب والانتقام، بين الماضي والحاضر.

CHAPTER 04

الفصل الرابع

تنه ّد كادي تنهيدة طويلة، لوّح بيده مودعًا لوردانة الصامتة التي كانت تراقب قلقه بعينين دامعتين، ثم امتطى جواده الأسود الذي كان ينتظره بوقار. قاد فرسه بخطوات ثقيلة نحو الطريق المؤدي إلى القصر، وكل خطوة تقربه من مواجهة حتمية. لم تعد العودة إلى القصر مجرد استئناف لحياته الأميرية المرفهة، بل أصبحت رحلة نحو المجهول، نحو لحظة كشف مؤلمة ستغير كل شيء.

بينما كان كادي يشق طريقه عابرًا التلال والوديان، كانت مانا قد استقرت بالفعل داخل جدران قصر الحاكم، تتنقل بحذر بين الخدم والدهاليز كظل خفي. كانت ترتدي ثوبًا بسيطًا يخفي جمالها الآسر، وعيناها اليقظتان تستكشفان كل زاوية، باحثة عن أي أثر يقودها إلى والدها، أو إلى قلب هذا القصر المليء بالأسرار.

"أسرار"، الجارية العجوز ذات القلب الطيب والولاء القديم، كانت رفيقتها ودليلها في هذا العالم الجديد والغريب. كانت تعلمها قواعد القصر الصارمة، وتحذرها من العيون المتطفلة، وتساعدها على التواري بين الجموع. كانت "أسرار" ترى في عيني مانا تصميمًا قويًا وروحًا نبيلة، وكانت مصممة على مساعدتها في تحقيق هدفها النبيل.

في اليوم التالي، بينما كانت مانا تقوم ببعض الأعمال في حديقة القصر الهادئة، لمحت من بعيد فارسًا يقترب من البوابات الرئيسية. كان الفارس يمتطي جوادًا أسودًا مهيبًا، وبدت قامته فارعة ونظراته ثاقبة. شعرت مانا

بشيء غريب يهز قلبها وهي تراقب هذا الفارس الغريب. كان هناك شيء مألوف في طريقة حركته، في وقفته الواثقة.

اقترب الفارس أكثر، وعندما أصبح وجهه واضحًا، تجمدت مانا في مكانها كأن صاعقة ضربتها. كان هو... كادي. الفارس الذي أنقذته في الغابة، والذي وعدها بالعودة إلى نيلام. لكنه الآن هنا، يدخل قصر الحاكم بهيبة الأمراء.

تراجعت مانا بخطوات متسارعة خلف شجرة باسقة، وقلبها يخفق بعنف. لم تستطع أن تفهم ما تراه عيناها. لماذا هو هنا؟ وما علاقته بقصر حاكم البلاد؟ كانت الأفكار تتزاحم في رأسها كعاصفة هوجاء.

في تلك اللحظة، وصل كادي إلى ساحة القصر الرئيسية، حيث كان في استقباله بعض الحراس والخدم الذين انحنوا له احترامًا. سمعت مانا همساتهم المدهوشة "ولي العهد... لقد عاد ولي العهد!"

تجمدت الدماء في عروق مانا. ولي العهد؟ كادي هو ولي العهد؟ ابن الحاكم الذي سجن والدها؟ شعرت وكأن الأرض قد انشقت وابتلعتها. كل ما ظنته حقيقة تبخر في لحظة واحدة. الرجل الذي أنقذت حياته، الرجل الذي وثقت به، هو ابن عدوها الأكبر.

في تلك اللحظة المدوية، أدركت مانا حجم الكارثة التي حلت بها. لقد دخلت عرين الأسد، ليس وحدها، بل وكانت مدانة بالجميل لابنه. كيف ستواجهه الآن؟ وكيف ستنفذ خطتها للانتقام وتحرير والدها؟ كانت تشعر بالضياع والخيانة، لكن في أعماق قلبها، كانت هناك شرارة من العزيمة ترفض أن تنطفئ. يجب أن تجد طريقة، يجب أن تكون أقوى من صدمتها، وأذكى من عدوها.

توارت مانا خلف جذع الشجرة الضخم، تحاول استيعاب الصدمة الهائلة التي هزت كيانها. ولي العهد... كادي هو ولي العهد بهرام. الرجل الذي حملته بين ذراعيها وهو ينزف سم العقرب، الرجل الذي تبادل معها نظرات الشكر والوعد بالعودة، هو ابن الطاغية الذي سجن والدها وحطم حياتها. شعور بالغ بالخيانة اجتاح قلبها، كأن سهمًا مسمومًا اخترق روحها. كيف يمكن للقدر أن يكون بهذه القسوة؟

لكن وسط هذا الذهول والألم، بدأت شرارة العزيمة تتوهج مرة أخرى في أعماقها. لم يكن لديها وقت للاستسلام لليأس. والدها لا يزال أسيرًا، ومهروان تنتظر انتقامها. يجب أن تكون أقوى من هذه الصدمة، وأن تستغل وجودها داخل القصر كفرصة فريدة.

بينما كانت مانا تحاول تهدئة أنفاسها المضطربة، ظهرت "أسرار" تبحث عنها بقلق. "يا ابنتي! أين كنتِ؟ رئيسة الخدم كانت تسأل عنكِ."

نظرت مانا إلى الجارية العجوز بعينين تحملان عاصفة من المشاعر. "أسرار... هل تعرفين ولي العهد؟"

تجمدت ملامح "أسرار" للحظة، ثم أجابت بحذر "نعم يا ابنتي. إنه الأمير كادي، الابن الأكبر للحاكم. لقد كان مسافرًا لبعض الوقت وعاد الى التو. لماذا تسألين عنه؟"

ترددت مانا قبل أن تكشف سرها. "لقد... لقد قابلته خارج نيلام. لقد أنقذت حياته."

اتسعت عينا "أسرار" دهشةً. "أنقذتِ حياة الأمير؟ يا له من قدر عجيب! لكن"كوني حذرة يا ابنتي، فقد تكون علاقتك بالأمير سيفًا ذا حدين في هذا القصر المليء بالمكائد."

أدركت مانا صدق كلماتها. معرفتها بالأمير قد تكون ورقة رابحة، لكنها أيضًا قد تعرضها لخطر شديد إذا انكشف سرها. قررت أن تتكتم الأمر في الوقت الراهن وتركز على مهمتها الأساسية.

"يجب أن أجد طريقة للوصول إلى والدي يا أسرار،" قالت مانا بعزم. "هل تعرفين مكان سجنه؟"

تنهدت "أسرار" بحزن. "يُحتجز السجناء السياسيون في الزنازين السفلى، وهي مكان مظلم ومحصن يصعب الوصول إليه. الحراس هناك قساة ومطيعون للحاكم بشكل أعمى. لكن هناك طريقة واحدة ربما تكون ممكنة..."

أشارت "أسرار" إلى ممر خفي يقع خلف المطبخ الرئيسي. "هذا الممر يؤدي إلى أقبية القصر، وهناك بعض الممرات القديمة التي قد توصلكِ إلى الزنازين السفلى. لكنها خطيرة ومتاهة، وقد تكون مراقبة أيضًا."

لم تتردد مانا. "سأفعلها يا أسرار. يجب أن أحاول."

في تلك الليلة، تحت جنح الظلام الحالك، تسللت مانا بحذر عبر الممر الخفي الذي أرشدتها إليه "أسرار". كان الظلام دامسًا والروائح عفنة، وهمسات الرياح تخلق أصواتًا مرعبة في الزوايا المظلمة. كانت تتلمس طريقها على الجدران الباردة والرطبة، وقلبها يخفق بين الأمل والخوف.

بعد وقت طويل بدا كأنه دهر، وصلت مانا إلى نهاية الممر، حيث وجدت بابًا حديديًا ضخمًا. كانت تسمع من خلفه أنينًا خافتًا وأصواتًا مكتومة. عرفت أنها وصلت إلى الزنازين السفلى.

ببطء شديد، حاولت مانا فتح الباب الحديدي، لكنه كان مغلقًا بإحكام. كانت تعلم أنها بحاجة إلى مساعدة، أو إلى طريقة أخرى للدخول. في تلك اللحظة، سمعت خطوات تقترب من بعيد. اختبأت مانا بسرعة خلف عمود حجري ضخم، وعيناها تراقب الممر المظلم بقلب يخفق بعنف. كانت تعلم أن المواجهة الحقيقية قد بدأت توًّا.

بينما كانت مانا مختبئة خلف العمود الحجري البارد، والصدى الخافت للخطوات يقترب، تزايد دقات قلبها في صدرها كطبول حرب. كانت تستعد لمواجهة غير متوقعة، ربما أحد حراس الزنازين، لكنها لم تكن تتخيل أبدًا من سيكون القادم.

عندما انعطف القادم أخيرًا في زاوية الممر المظلم، تجمدت أنفاس مانا في صدرها. لم يكن حارسًا. كان هو... كادي.

كان كادي يحمل شعلة صغيرة بيده، تلقي بضوء خافت على ملامحه القلقة. كانت عيناه تبحثان بجدية في الظلام، وكأنه يتوقع وجود شخص ما هنا.

للحظة، تلاقت نظراتهما عبر الظلام، وشعرت مانا بصدمة قوية تجتاح كيانها. ماذا يفعل ولي العهد في الزنازين السفلى في هذا الوقت المتأخر؟ وهل كان يبحث عنها؟

"مانا؟" همس كادي بصوت خافت، وكأنه لم يصدق ما تراه عيناه. "هل أنتِ هنا؟ كيف...؟"

لم تستطع مانا أن تنطق بكلمة. كانت مشاعر متضاربة تعصف بها: الدهشة، والخوف، والارتباك، وحتى بصيص خافت من الأمل. لكن سرعان ما طغى شعور الحذر والشك. هذا هو ابن عدوها. لا يمكنها أن تثق به.

"ماذا تفعل هنا يا أمير؟" قالت مانا أخيرًا بصوت حاد، يحمل في طياته اتهامًا مبطنًا. "هل جئت لتتفقد ضحايا والدك؟"

تجمدت حركة كادي للحظة، وبدا الألم واضحًا في عينيه. "مانا، أرجوكِ، ليس كما تظنين. لقد جئت إلى هنا... كنت أبحث عنكِ."

"تبحث عني؟" سخرت مانا بمرارة. "لماذا؟ هل تريد أن تتأكد أنني سأبقى بعيدة عن عرش والدك؟"

اقترب كادي منها ببطء، والشعلة في يده تلقي بضوء متردد على وجهه المضطرب. "عندما قرأت رسالتكِ في نيلام، عرفتُ الحقيقة. عرفتُ سبب مجيئكِ إلى هنا. وخفت عليكِ."

"خفت عليّ؟" ردت مانا بحدة. "لماذا قد تخاف عليّ يا أمير؟ ألستَ ابن الرجل الذي دمر حياتي وحياة عائلتي؟"

"مانا، أرجوكِ استمعي إليّ،" توسل كادي بصوت يائس. "لم أكن أعرف شيئًا عن ظلم والدي. لقد عشت بعيدًا عن القصر معظم حياتي. عندما عدت، بدأت أرى الحقائق بنفسي... وبدأت أشك في كل شيء."

كانت مانا تنظر إليه بعينين متشككتين. كلماته تبدو صادقة، لكن كيف يمكنها أن تثق بابن عدوها؟

"لماذا تبحث عني هنا؟" سألته بحدة. "هل تخشى أن أفضح حقيقة والدك؟"

"لا يا مانا،" أجاب كادي بصدق. "أخشى عليكِ. أخشى أن يصيبكِ مكروه. هذا القصر مكان خطر، ووالدي... والدي رجل قاسٍ. توقعتُ أنكِ ستأتين إلى الزنازين السفلى. إنه المكان الوحيد الذي يمكن أن يكون فيه والدكِ."

كانت كلمات كادي تحمل صدقًا لم تستطع مانا إنكاره تمامًا. رأت في عينيه ألمًا حقيقيًا وقلقًا عليها. لكن سنوات من الظلم والحزن جعلت الثقة أمرًا صعب المنال.

"لماذا تخبرني هذا؟" سألته بحذر. "ماذا تريد مني؟"

تنهد كادي تنهيدة طويلة، ونظر إلى الأرض بأسى. "أريد أن أساعدكِ يا مانا. أريد أن أصلح خطأ والدي. أريد أن أحرر والدكِ."

صمتت مانا للحظة، تحاول استيعاب كلماته. هل يمكن أن يكون هذا حقيقيًا؟ هل يمكن لولي العهد أن يخون والده ويساعدها؟ كان الأمر يبدو مستحيلاً، لكن نظرات كادي كانت تحمل إصرارًا صادقًا.

"لماذا تفعل هذا؟" سألته أخيرًا بصوت خافت. "لماذا تخاطر بكل شيء من أجلي؟"

رفع كادي عينيه، ونظر إليها بصدق عميق. "لأنني... لأنني لا أستطيع أن أقف مكتوف الأيدي، وأرى الظلم يستمر. ولأنني... منذ أن التقيتكِ في الغابة، لم أعد الشخص نفسه."

كانت كلمات كادي تتردد في أرجاء الزنزانة الباردة، تخلق صدى خافتًا في الظلام. نظرت إليه مانا بعينين متسعتين، تحاول فك شفرة الصدق في نبرة صوته ونظراته الثاقبة. كان هناك شيء في اعترافه العميق هزّ أسوار شكوكها. لم يكن مجرد أمير مدلل يتحدث ببلاغة زائفة؛ كان هناك ألم حقيقي وندم واضح في عينيه.

"كيف يمكنني أن أثق بك؟" همست مانا أخيرًا، صوتها لا يزال مشوبًا بالمرارة. "أنت ابن الرجل الذي سلب مني كل شيء."

اقترب كادي خطوة أخرى، والشعلة في يده تضيء وجهه بضوء دافئ. "أعلم أن كلماتي قد لا تكون كافية لمحو سنوات من الألم والمعاناة، يا مانا. لكنني أقسم لكِ، لم أكن أعرف شيئًا عن ظلم والدي. لقد نشأت بعيدًا عن هذه القسوة، وعندما عدت، صدمتني الحقائق التي بدأت تتكشف أمامي. لم أعد أستطيع أن أكون جزءًا من هذا الظلم."

توقف للحظة، ثم تابع بصوت أكثر إصرارًا: "أريد أن أساعدكِ، ليس فقط من أجلكِ، بل من أجل تصحيح ما أفسده والدي. أريد أن أحرر والدكِ، وأن أعيد الحق إلى نصابه."

كانت مانا تستمع إليه بإنصات شديد، وقلبها يتأرجح بين الشك والأمل. لم يكن من السهل عليها أن تثق بشخص ينتمي إلى عائلة ظالمة، لكن إصرار كادي بدا حقيقيًا.

"ماذا ستفعل؟" سألته بحذر. "كيف ستساعدني وأنت ولي عهد حاكم البلاد؟"

"لدي سلطة داخل القصر أكثر مما تتخيلين،" أجاب كادي بهمس. "يمكنني الوصول إلى بعض الأماكن المحظورة، ويمكنني التلاعب ببعض الحراس. سأساعدكِ في العثور على والدكِ، وسأدبر طريقة لإخراجه من هنا."

لكن سرعان ما عاد الشك ليخيم على قلب مانا. "لماذا تخاطر بكل شيء من أجلي؟ ماذا ستجني من هذا؟"

نظر إليها كادي بصدق عميق، وعيناه تحملان مزيجًا من الحزن والرجاء. "سأجني ضميرًا مرتاحًا، يا مانا. وسأجني فرصة لإصلاح ولو جزء ًا صغير ًا من هذا الظلم. والأهم من ذلك..." توقف للحظة، وكأن الكلمات ثقيلة على لسانه. "...سأجني فرصة لأكون بجانب المرأة التي أنقذت حياتي وغيرت نظرتي إلى العالم."

احمر وجه مانا خجلًا من كلماته الصادقة. لم تتوقع اعترافًا كهذا. للحظة، شعرت بدفء غريب يتسلل إلى قلبها البارد. لكن سرعان ما تذكرت سبب وجودها هنا، والهدف الذي جاءت من أجله.

"لا وقت للحديث عن هذا الآن يا أمير،" قالت مانا بصوت أكثر جدية. "والدي في خطر، ويجب أن نتحرك بسرعة. هل تعرف مكان سجنه تحديدًا؟"

أومأ كادي برأسه. "نعم، لقد تمكنت من معرفة مكانه. إنه في الزنزانة رقم سبعة، في الطابق السفلي. سأرشدكِ إليه. لكن يجب أن نكون حذرين للغاية. الحراس هنا متيقظون."

أطفأ كادي الشعلة، وأمسك بيد مانا برفق. "اتبعيني بهدوء. سأقودكِ إليه."

وتحت ستار الظلام الدامس الذي يلف الزنازين السفلى، بدأت رحلة جديدة محفوفة بالمخاطر. مانا، الخادمة المتخفية، وكادي، ولي العهد الخائن، يسيران سويًا في قلب عرين الظلم، متحدين من أجل هدف واحد: تحرير الأب واستعادة العدل. كانت خطواتهما خافتة، وقلوبهما تخفق بترقب، بينما كان مصيرهما يتشابك أكثر فأكثر في هذه الليلة المصيرية.

كانت الأجواء في الزنازين السفلى تخنق الأنفاس، مزيج من الرطوبة والعفن ورائحة اليأس التي تخيم على المكان كستار كثيف. تقدم كادي بحذر، ممسكًا بيد مانا برفق ليقودها عبر الممرات الملتوية والضيقة. كان الظلام دامسًا، لا يخترقه سوى بصيص ضئيل يتسرب من فتحات صغيرة في السقف البعيد. همسات الأنين المكتوم والسعال المتعب كانت تتعالى من خلف الأبواب الحديدية الصدئة، تذكر مانا بالمعاناة التي يكابدها والدها وغيره من السجناء ظلماً.

كان كادي يعرف طريقه جيدًا في هذه المتاهة المظلمة، يتحرك بخطوات واثقة وهمس بتعليمات خافتة لمانا. كان حذره شديدًا، يتوقف بين الحين

والآخر للاستماع إلى أي صوت قادم من بعيد، ويتفحص الظلال بحثًا عن أي حركة مشبوهة. كان يعلم أن اكتشاف وجودهما هنا يعني خطرًا محدقًا ليس فقط على مانا ووالدها، بل عليه شخصيًا.

أخيرًا، وصلا إلى نهاية أحد الممرات، حيث كان يقبع باب حديدي ثقيل يحمل رقم سبعة محفورًا عليه بصدأ قاتم. كان الصمت يخيم على هذا الجزء من الزنازين، وكأن اليأس قد استوطن هنا على نحو خاص.

توقف كادي وهمس لمانا: "هذه هي الزنزانة. والدك محتجز هنا."

اقتربت مانا ببطء من الباب البارد، ومدت يدها المرتجفة لتلمس القضبان الحديدية. شعور قوي بالرهبة اجتاح قلبها. والدها... كان خلف هذا الباب. بعد كل هذا العناء، كانت على وشك رؤيته.

"هل لديك المفتاح؟" سألت مانا كادي بصوت خافت.

هز ّ كادي رأسه بأسف. "لا، المفاتيح الرئيسية بحوزة قائد الحراس، وهو رجل مخلص لوالدي بشكل أعمى. لكن لدي طريقة أخرى."

انحنى كادي وهمس لمانا بخطته. كانت خطة جريئة ومحفوفة بالمخاطر، تعتمد على عنصر المفاجأة، وعلى معرفة كادي ببعض نقاط الضعف في نظام الحراسة.

بينما كان كادي يشرح خطته، سمعا فجأة صوت خطوات قادمة من نهاية الممر. كانت خطوات سريعة وثقيلة، توحي بقدوم شخص مستعجل. ارتعدت مانا خوفًا، ونظرت إلى كادي بعينين مذعورتين.

"اختبئي بسرعة!" همس كادي وهو يدفع مانا خلف عمود حجري ضخم بالقرب من الباب. ثم استند هو الآخر على الحائط، محاولًا أن يبدو غير مبال.

اقترب قائد الحراس، وهو رجل ضخم البنية يحمل مصباحًا زيتيًا بيده، ووجهه عابس وملامحه حادة. توقف أمام زنزانة أخرى قريبة من زنزانة والد مانا وبدأ يتحدث بصوت عالٍ مع السجين الموجود بالداخل.

كانت مانا تختلس النظر من خلف العمود، وقلبها يخفق بعنف. كان هذا هو قائد الحراس الذي تحدث عنه كادي. يجب أن يكونا حذرين للغاية.

عندما انتهى قائد الحراس من حديثه وابتعد ببطء، تنفس كادي الصعداء وهمس لمانا "كان هذا قريبًا. الآن فرصتنا."

أشار كادي إلى قفل الباب الحديدي. "هذا القفل قديم ويمكن فتحه بطريقة معينة إذا عرفت كيف. لقد تعلمت بعض الحيل في صغري."

أخرج كادي من جيبه قطعة معدنية رفيعة، وبدأ يعبث بالقفل بحذر وتركيز شديدين. كانت أنامله تتحرك ببراعة وصمت، وكأنها تعزف على آلة موسيقية صامتة. مرت لحظات بدت كأنها دهر، والتوتر يخيم على المكان كثيفًا.

أخيرًا، سمع صوت طقطقة خافتة، وشعر كادي بالقفل ينفتح. نظر إلى مانا بابتسامة باهتة وهمس "تم الأمر."

تحرك كادي ببطء، وفتح الباب الحديدي بصمت. كان الظلام الدامس يلف الزنزانة من الداخل. "يا أبي؟" همست بصوت خافت.

من داخل الظلام، تردد صوت ضعيف ومبحوح: "مانا؟ هل هذه أنت يا ابنتي؟ .. لقد عرفتك من صوتك يا أميرتي الصغيرة؟"

شعرت مانا بقشعريرة تسري في جسدها. هذا هو صوت والدها. بعد كل هذه المعاناة، كانت على وشك أن تراه. تقدمت ببطء نحو داخل الزنزانة، وعيناها تحاولان التكيف مع الظلام.

وفي الزاوية المظلمة، رأت رجلاً نحيلًا شاحب الوجه يجلس على الأرض. كانت آثار السجن واليأس واضحة عليه، لكن عينيه كانتا لا تزالان تحملان شرارة من النور.

"أبي!" هتفت مانا بصوت مخنوق بالدموع، وركضت نحوه لتضمه بين ذراعيها. اللحظة التي انتظرتها طويلاً قد تحققت أخيرًا في قلب الظلام الدامس للزنازين السفلى. لكنهما كانا يعلمان أن الخطر لم يزل بعد، وأن الحرية الحقيقية لا تزال بعيدة المنال.

كانت مانا تحتضن والدها "برّاك" بقوة، تشعر بعظامه النحيلة ترتجف بين ذراعيها. دموع الفرح والحزن تختلط على خديها. بعد سنوات من الفراق والقلق، كانت تراه أخيرًا، حيًا وإن كان يعاني آثار السجن.

"مانا... ابنتي؟ هل هذا حقيقي؟" همس براك بصوت ضعيف ومبحوح، وهو يلمس وجهها بيده المرتعشة. "لقد كبرتِ يا صغيرتي... أصبحتِ امرأة."

أومأت مانا برأسها. "نعم يا أبي، أنا مانا. لقد جئت لأخذك إلى البيت."

نظر برّاك حوله في الزنزانة المظلمة، ثم عاد بنظره إلى مانا، وعيناه تحملان سؤالًا لم يُنطق. "ليل... أين ليل؟ هل هي بخير؟ ووردانة؟ كيف حالها؟"

تجمدت كلمات مانا على شفتيها. كيف ستخبر والدها الطيب والحنون أن زوجته الحبيبة، "ليل"، قد ماتت حسرةً عليه؟ كانت تخشى أن تقضي هذه الصدمة على آخر ما تبقى من قوته.

في تلك اللحظة الحرجة، تدخل كادي بهدوء. "يا سيدي، أنا كادي. لقد ساعدت مانا في الوصول إليك. من الأفضل أن تبقى هنا بأمان لبعض الوقت. الخروج الآن قد يكون محفوفًا بالمخاطر."

نظر برّاك إلى كادي بشك. "ابن الحاكم؟ ولي العهد المدلل؟ لماذا تساعد ابنتي؟"

تأثر كادي بصدق برّاك ونبرته الطيبة رغم معاناته. شعر بوخز في ضميره وهو يستمع إلى هذا الرجل الذي سجنه والده ظلماً. "يا سيدي، لقد أدركتُ الظلم الذي لحق بك وبعائلتك. أريد أن أساعد على تصحيح الأمور."

عادت مانا بنظرها إلى والدها. "يا أبي، كادي صادق. إنه يساعدنا. لكن يجب أن تبقى هنا الآن. سأعود لأخذك قريبًا، عندما يصبح الوضع أكثر أمانًا."

لم يكن برّاك مقتنعًا تمامًا، لكنه رأى الإصرار في عيني ابنته والقلق الصادق في نظرات كادي. وافق بتردد.

"اعيديني يا ابنتي... أعيديني إلى نيلام."

"سأفعل يا أبي، أعدك."

بينما كان هذا الحوار المؤثر يدور بين الأب وابنته، كان كادي يستمع بقلب مثقل. لقد رأى طيبة برّاك وعلاقته الوثيقة بزوجته، وشعر بمرارة الذنب تزداد في صدره. كان يعلم أن الحقيقة ستكون مؤلمة للغاية لهذا الرجل الطيب.

بعد الاطمئنان على برّاك وترتيب بعض الأمور البسيطة في الزنزانة، حان وقت الرحيل. كانت مانا تحمل في طيات فستانها القرمزي الذي خبأته في غرفتها الزجاجة الصغيرة التي أعدتها مهروان. كانت تفكر فيها بتصميم خفي، تعلم أن لحظة الانتقام قد اقتربت. لم تخبر كادي عن السائل السحري، كانت تعلم أنه سيعارض فكرة إلحاق الأذى بوالده، حتى لو كان ظالمًا.

"يجب أن نعود الآن،" همس كادي لمانا. "قائد الحراس قد يعود في أي لحظة."

نظرت مانا نظرة أخيرة إلى والدها، وعيناها تفيضان بالوعد. "سأعود يا أبي."

ثم اتبعت كادي عائدة عبر الممرات المظلمة، تاركة برّاك وحيدًا في زنزانته، يحمل في قلبه شوقًا لحريته وأملًا كاذبًا بعودتها. أما مانا، فكانت تحمل في قلبها تصميمًا على تنفيذ الانتقام، وسرًا تخفيه عن الرجل الذي يساعدها، سرًا سيغير مصائر الجميع للأبد.

كانت مانا تتنفس الصعداء، وهي تخرج من دهاليز السرداب المظلمة، وتلتقي بنور خافت يتسرب من نوافذ القصر العالية. وجدت زمزم ينتظرها بفارغ الصبر بالقرب من البوابة الخلفية، وجهه يحمل علامات القلق التي سرعان ما تبدّلت بالارتياح لرؤيتها.

"مانا! لقد تأخرتِ!" همس زمزم بصوت مضطرب. "كنت خائفًا أن يكون قد أصابكِ مكروه."

ابتسمت مانا ابتسامة باهتة لطمأنته. "كل شيء على ما يرام يا زمزم. لقد رأيت والدي، وهو بخير، وأيضاً الأمير كادي هو بصفنا ويساعدنا."

توسعت عينا زمزم فرحًا. "حقًا؟ هذا رائع! 'أسرار' أحضرت لي طعامًا لذيذًا بينما كنت أنتظركِ. يبدو أن العمل في القصر ليس سيئًا للغاية بعد كل شيء!" فرك بطنه المنتفخ بامتنان.

"أنا سعيدة لأنك بخير يا زمزم،" قالت مانا. "لكن يجب أن أعود إلى الداخل الآن. يجب أن أمضي ليلتي الأولى هنا كخادمة."

لوحت لزمزم مودعة وعادت أدراجها نحو البوابة الخلفية، تتسلل بحذر بين ظلال الليل المتزايدة. كانت ترتدي ثوبًا بسيطًا من ملابس خدم القصر، يخفي تحت طياته سرًا آخر: تصميمها الراسخ على إتمام مهمتها. زجاجة السائل السحري التي أعدتها مهروان كانت تنتظرها في غرفتها المتواضعة، أداة انتقامها التي لن تتخلى عنها.

في الأعلى، كان أزرا يحلق في سماء الليل الصافية، يراقب لقاء مانا بزمزم من بعيد. ثم انطلق بجناحيه القويين عائداً إلى كوخ مهروان على التلة، يحمل إليها أنباء ما رأى.

استمعت مهروان إلى نعيق الغراب الأمين بعينين ضيقتين. وصول كادي إلى القصر ودخوله حياة مانا من جديد لم يكن جزءًا من خطتها المحكمة. تذمرت العجوز المشعوذة بصوت هامس: "يا له من تعقيد غير ضروري! هذا الأمير الأحمق... أخشى أن يضعف قلب مانا أمامه، وأن تتراجع عن الانتقام الذي طال انتظاره. يجب ألا تدع عواطفها تتغلب على واجبها. يجب أن تتذكر الثمن الباهظ الذي دفعناه جميعًا."

في غرفتها الصغيرة المتواضعة في قصر الحاكم، جلست مانا على حافة سريرها الصلب، تتأمل في مصيرها المعلّق بين الأمل في تحرير والدها والرغبة الملحة في الانتقام. كانت تعلم أن وجود كادي في القصر سيزيد الأمور تعقيدًا، لكنها كانت مصممة على عدم السماح لأي شيء، ولا حتى مشاعرها المتضاربة، بأن تحيد بها عن هدفها. الليلة الأولى في قصر العدو كانت مجرد بداية لمعركة خفية ستخوضها بجرأة وذكاء، مستخدمة سلاحها السري الذي ينتظر اللحظة المناسبة ليُعلن عن قوته.

استلقت مانا على فراشها الصلب، لكن النوم جافى عينيها. كانت أفكارها تتزاحم في رأسها كطيور مذعورة في قفص ضيق. صورة والدها الشاحب في الزنزانة المظلمة كانت تطاردها، تتناوب مع وجه كادي القلق، وهو يتوسل إليها أن تثق به. كان قلبها ممزقًا بين الرغبة في الانتقام والثقة المتزايدة في نوايا الأمير.

في تلك اللحظة، تذكرت مانا كلمات "أسرار" الحذرة "كوني حذرة يا ابنتي، علاقتك بالأمير قد تكون سيفًا ذا حدين في هذا القصر المليء بالمكائد." كانت العجوز الحكيمة تعرف دهاليز القصر وأسراره أكثر من أي شخص آخر.

نهضت مانا من فراشها وسارت نحو النافذة الصغيرة المطلة على حديقة القصر الهادئة تحت ضوء القمر الفضي. كان السكون يخيم على المكان، لكنها كانت تشعر بتوتر خفي يسري في الأجواء. كانت تعلم أن الليلة الأولى في قصر العدو هي مجرد بداية لمواجهة طويلة ومعقدة.

عادت مانا إلى فراشها، وقررت أن تؤجل التفكير في أمر كادي حتى الصباح. الآن، كان عليها أن تركز على خطتها الأساسية: الوصول إلى الحاكم بهرام وتقديم الشراب المسحور إليه. كانت تعلم أن هذه المهمة لن تكون سهلة، لكنها كانت مصممة على إنجازها مهما كان الثمن.

في الصباح الباكر، استيقظت مانا على صوت طرق خفيف على باب غرفتها. فتحت الباب لتجد "أسرار" تقف في الخارج، وعلى وجهها نظرة قلقة.

"يا ابنتي، يجب أن تكوني حذرة اليوم أكثر من أي وقت مضى. بالأمس الأمير كادي كان يبحث عنكِ في القصر. لقد سأل عن خادمة جديدة وصلت بالأمس."

أجابت مانا بعدم إكتراث. "لا تقلقي بشأن ذلك، لقد التقيت بوليّ العهد أمس"

"إنه أمير طيّب، ولكن عليك الحذر."

أدركت مانا أنها يجب أن تكون أكثر حذرًا. وجود كادي بالقرب منها قد يعرض خطتها للخطر. "شكرًا لكِ يا أسرار على تحذيركِ. سأكون حذرة."

خرجت مانا مع "أسرار" وبدأت يومها كخادمة في القصر، تحاول أن تتوارى عن الأنظار، وتتجنب أي لقاء غير ضروري بالأمير. لكنها كانت تشعر بنظراته الثاقبة تلاحقها من بعيد، وكأن قدرًا خفيًا يسعى لجمعهما من جديد في قلب هذا القصر المليء بالأسرار والمخاطر.

بينما كانت مانا تتنقل بحذر في أروقة قصر الحاكم الشاسعة، تتوارى خلف الستائر السميكة والأعمدة الرخامية، سمعت فجأة صوتًا جهوريًا يتردد في الأرجاء، كهدير أسد يكسر سكون الغابة. كان صوتًا آمرًا، نافذًا، يحمل في طياته قوة وسطوة لا تخطئها الأذن. ارتجفت أوصال مانا خوفًا، وتجمدت قدماها في مكانهما، وقلبها يخفق بعنف كطائر مذعور في قفص. كان هذا صوت بهرام، الحاكم المطلق للبلاد، الرجل الذي تسعى للانتقام منه.

لكن وسط هذا الرعب الشديد، لمعت في رأس مانا فكرة عبقرية. خطة جريئة ومفاجئة قد تمنحها فرصة للوصول إلى الحاكم دون إثارة الشبهات. بحركة

سريعة، انسلّت مانا خلف جدار سميك يفصل بين الرواق الذي كانت فيه وغرفة مجاورة. استندت بظهرها إلى الحائط البارد، وأخذت نفسًا عميقًا لتهدئة روعها. ثم، بدأت تنشد بصوتها العذب الساحر، لحنًا بسيطًا من أغاني نيلام الزرقاء، لكنها أضفت إليه شجنًا وعذوبة لم يسمع بهما القصر من قبل.

كان صوت مانا ينساب رقيقًا كجدول ماء صافٍ، ثم يعلو رويدًا رويدًا ليملأ الأرجاء بنغمات آسرة تخترق القلوب. كان صوتًا يحمل في طياته حنينًا للوطن المفقود وأملًا خفيًا بالحرية. وصل سحر هذا الصوت إلى مسامع الحاكم بهرام وهو يجلس في ديوانه، منهمكًا في شؤون الحكم. للحظة، تجمدت يده الممسكة بكأس الشراب، وشعر بشيء غريب يهز أعماق قلبه القاسي. كان هذا الصوت مختلفًا، نقيًا، يحمل جمالًا لم يعهده في هذا القصر المليء بالزخارف الباهتة والكلمات الجوفاء.

"من هذه التي تغني؟!" صرخ بهرام بصوت جهوري، وقد استبد به الذهول والفضول. كان صوته يحمل مزيجًا من الغضب والاستعجاب. "أريد أن أعرف من هي صاحبة هذا الإحساس الجميل التي تجرأت على الغناء في قصري!"

عند سماع صراخ الحاكم، ارتعشت مانا خوفًا، لكن خطتها كانت قد بدأت بالفعل تؤتي ثمارها. انسلّت بهدوء من خلف الحائط، وركضت بأسرع ما يمكنها نحو مطبخ القصر الصاخب، حيث اندمجت بين خادمات القصر المنهمكات في عملهن، متوارية عن الأنظار كأنها لم تكن موجودة قط.

جن جنون الحاكم بهرام وهو يحاول عبثًا معرفة صاحبة هذا الصوت الذي اخترق قلبه، وأثار فيه مشاعر لم يعرفها من قبل. أمر مساعده الشخصي، وهو رجل نافذ ومطيع، بالبحث والتحقق في جميع أنحاء القصر للعثور على المغنية الغامضة. لم تمضِ سوى ساعات قليلة حتى عاد المساعد إلى ديوان الحاكم، وفي معيته فتاة ترتدي ثيابًا بسيطة، لكن عينيها الزرقاوين كانتا تشعان بذكاء خفي. كانت مانا. لقد سقطت في الفخ الذي نصبته بمهارة، وها هي تقف الآن أمام عرش عدوها، تنتظر الفصل الأخير من هذه اللعبة الخطيرة.

CHAPTER 05

الفصل الخامس

في صمت مهيب خيّم على أرجاء الديوان، حيث لم يعد يُسمع سوى همس الأنفاس المترقبة، وقف بهرام يتأمل الفتاة الماثلة أمامه بإمعان. كانت ترتدي ثيابًا بسيطة، لكن وقارًا فطريًا كان يلوح من بين طياتها، يشِي بأكثر مما تجود به المظاهر. عيناها الزرقاوان، رغم ارتباك اللحظة الراهنة، كانتا تقدحان ذكاءً لافتًا، وصوتها العذب الذي تسلل إلى شغاف قلبه قبل هنيهات، لا يزال يتردد في أذنيه كرنين حلم بعيد المنال.

"من أنتِ؟" سأل بهرام بصوت جهوري، لكن نبرته الآمرة اكتست ليونة لم يعهدها الحاضرون. كان ثمة سحر خفي ينبثق من هذه الغريبة، يوقظ في أعماق روحه مشاعر َ كان يظنها قد تلاشت مع غبار السنين.

رفعت مانا رأسها ببطء، وثبتت نظراتها الواثقة في عيني الحاكم، متحدية بذلك جبروته وسلطانه. لم يخالط صوتها ذرة خوف أو تردد وهي تجيب "أنا

مجرد خادمة يا مولاي، بلغتني أخبار بهاء قصركم وسناء ساكنيه، فتمنيت أن أُحظى بشرف خدمتكم والارتواء من نور طلعتكم."

كانت كلماتها يسيرة، لكن عذوبة منطقها، ورخامة صوتها الآسر، والسكينة البادية على محياها، كل ذلك أضفى عليها جلالًا وسحرًا استعصى على بهرام تجاهله. راح يتأمل طلعتها مليًا، وكأنها حورية بهية تجسدت من أساطير البحار القديمة، تفتنه بجمالها الأخاذ.

"خادمة؟" تمتم بهرام ببطء، وعيناه لا تزالان مثبتتين على مانا. "صوتكِ لا يليق بخادمة. فيه عذوبة ملكات وشجن أميرات. من أين أتيتِ؟ وما قصتكِ؟"

ابتلعت مانا ريقها بصعوبة، لكنها تماسكت وحافظت على رباطة جأشها. كانت تعلم أن كلماتها القادمة هي مفتاح مصيرها. "أتيتُ من قرية بعيدة يا مولاي، من قرية وادعة تتوسد حضن التلال. تعلمت فن الغناء من والدتي، وكانت تردد لي دائمًا أن الصوت الجميل هو مفتاح القلوب."

تنهد بهرام تنهيدة عميقة، وكأن كلمات مانا أيقظت في روحه ذكرى دفينة. "مفتاح القلوب... قول حكيم. لكن قلبي أوصدت أبوابه منذ دهر، ولم يعد يستجيب لأي مفتاح." ثم حدق بها بحدة نافذة. "ومع ذلك، ثمة وشوشة في صوتكِ... صدى غريب يتردد في أعماقي. ما اسمكِ أيتها الفتاة؟"

توقفت مانا للحظة، ثم أجابت بثبات "اسمي مانا يا مولاي."

"مانا..." رد ّد بهرام الاسم ببطء، وكأنه يتذوق نغمه "اسم يزهو بضوء صوتكِ. منذ هذه اللحظة، ستكونين الجارية الأقرب إليّ، ستغنين لي كل ليلة قبل أن أغفو. صوتكِ سيطرد عني كوابيس الظلام، ويجلب لي أحلامًا هادئة". ابتسمت مانا بثقة وأجابته "وسيزيدني شرفًا، إن سمح طبعكِ الرفيع، أن أقدّم لك الأطعمة الشهية وأسقيك أشهى المشاريب في سهرات القصر." قالت مانا بانحناءة متواضعة، لكن عينيها كانتا تبرقان بذكاء خفي. لقد خطت

خطوتها الأولى نحو قلب عرين الأسد، والسلاح الوحيد الذي تملكه هو صوتها الساحر وسرها الدفين.

رفع الحاكم حاجبه إعجابًا، وأعلن على الملأ "من الآن فصاعدًا، ستكون مانا الجارية الأقرب إلى قلبي. ستنشد لي، وستناولني أشهى المآكل وألذ الأشربة في سهراتي."

سرعان ما انتشر نبأ المكانة الجديدة التي نالتها مانا في أرجاء القصر كالنار في الهشيم. همسات الدهشة والغيرة تراقصت بين الخدم والحاشية، لكن الخبر وصل إلى مسامع ولي العهد الأمير كادي كصاعقة مدوية. استبد به استياء عارم وقلق دفين على مصير الفتاة الجريئة. كان يدرك تمام الإدراك طبيعة والده المتقلبة ونزواته المفاجئة، وكان يخشى أن تكون مانا، بجمال صوتها وسحر حضورها، قد وضعت نفسها في مرمى خطر جسيم.

انطلق كادي يبحث عن مانا في أرجاء القصر، وقلبه يخفق بقوة بين الغضب والخوف. وجدها أخيرًا في حديقة القصر الغناء، حيث كانت تتحدث بهدوء مع "زمزم" وتوصل له بعض من الطعام اللذيذ. لم يتمالك الأمير غضبه، فاندفع نحوها وجذبها من ذراعها بقوة، غير آبه بنظرات الدهشة والاستنكار من حولهما.

"تعالي معي!" زمجر كادي بصوت خفيض لكنه يحمل نبرة قاطعة، يسحب مانا خلفه بعيدًا عن أعين المتطفلين، إلى ركن منعزل بين أشجار السرو العالية، حيث لا يجرؤ أحد على مقاطعتهم.

عندما وصلا إلى المكان المنشود، أفلت كادي ذراع مانا بعنف، وواجهها بعينين تقدحان غضبًا وقلقًا. "ما الذي تفعلينه؟ هل جننتِ؟ كيف تجرؤين على التقرب من والدي هكذا؟"

نظرت إليه مانا بعناد، لم ترتعب من غضبه. "أنا أفعل ما يجب عليّ فعله."

"ما يجب عليكِ فعله هو الرحيل من هنا فورًا!" صرخ كادي بصوت مكتوم، خوفًا من أن يسمعهما أحد. "أنتِ في خطر جسيم. والدي إذا عرف بملعوبكِ هذا، فلن يتردد لحظة في قتلكِ. وحتى لو أعجبتهِ، وهو أمر أخشاه أكثر، فسوف يأسركِ للأبد في ديوانه، لعبة مسلية لن يملّ منها. في الحالتين، أنتِ في خطر محدق!"

لكن مانا هزت رأسها بعناد، وإصرارها بدا أقوى من أي خوف. "لن أرحل. لقد وصلت إلى هنا لأجل هدف، ولن أتراجع عنه."

استشاط كادي غضبًا يائسًا. "اسمعي جيدًا يا فتاة! إن لم تفعلي ما أقوله لكِ، وإن لم تغادري هذا القصر الليلة، فسوف أذهب بنفسي إلى والدي وأفضح ملعوبكِ هذا. سأخبره بكل شيء!"

حدقت به مانا بثبات، وعيناها تحملان تحديًا مبطنًا. "لن تستطيع فعل ذلك يا أمير."

"ولماذا أنتِ متأكدة من ذلك؟" سألها كادي بحدة.

"لأن قلبك أكبر من أن يسمح بأذيتي،" أجابت مانا ببساطة واثقة.

تجمدت ملامح كادي للحظة، وكأن كلماتها أصابت وترًا حساسًا في داخله. لمعت عيناه بدموع لم يستطع كبحها، وانحدرت قطرة مالحة على وجنته. "أرجوكِ يا مانا... لا تفعلي هذا. لو لم أكن متأكدًا من أن والدي سيؤذيكِ، لتركتكِ تفعلين ما تشائين. لكنني خائف عليكِ... خائف جدًا، خذي زمزم والحمار وارحلي من هنا، وأعدك بأنني سأعيد لك والدك الى نيلام في وقت قريب جداً."

عناد مانا كان أقوى من توسلاته. رفعت رأسها بعناد، وقالت بلهجة قاطعة "العناد من أبرز خصالي يا أمير، ولن أتراجع عن قراري."

تنهد كادي تنهيدة يائسة، شعر بعجز يتملكه وهو يرى إصرار مانا العنيد يتحدى منطقه وخوفه عليها. كانت تقف أمامه كصخرة صلبة، لا تهزها رياح التحذير ولا أمواج التوسل. كان يرى في عينيها تصميمًا راسخًا يذكره بشجاعتها التي أنقذت حياته، لكنه الآن يخشى أن يكون هذا التصميم نفسه هو ما سيؤدي بها إلى التهلكة.

"ألا تفهمين الخطر الذي تحدقين به؟" قال كادي بصوت خفيض، وقد خارت قواه أمام عنادها. "والدي ليس رجلاً رحيمًا. قد يبدو مسحورًا بصوتكِ الآن،

لكن مزاجه متقلب، وغضبه مدمر. إذا اكتشف حقيقتكِ... أو حتى إذا ملّ منكِ... فستكونين في خطر أشد."

لكن مانا لم تتزحزح عن موقفها. "أنا أعرف المخاطر يا أمير، وقد حسبت لها حسابًا. لم آتِ إلى هنا لألعب أو لأحظى بحياة مرفهة في القصر. لديّ هدف أسمى، ولن أسمح للخوف أو لأي شيء آخر أن يثنيني عنه."

نظر إليها كادي بعينين دامعتين، مزيج من اليأس والإعجاب يختلج في قلبه. كان معجبًا بشجاعتها وإصرارها، لكن خوفه عليها كان يمزق قلبه. "إذن، لا سبيل لإقناعكِ؟ لا يوجد شيء يمكنني قوله ليجعلكِ تغيرين رأيكِ؟"

هزت مانا رأسها ببطء، لكن نظرتها كانت تحمل شيئًا من الرقة هذه المرة. "شكرًا لك على قلقك يا أمير. أعلم أنك تخاف عليّ، وأنا أقدر ذلك. لكن هذا هو طريقي، ويجب أن أسلكه حتى النهاية."

كادي شعر بالهزيمة. كان يعلم أن محاولاته لإقناعها بالرحيل قد باءت بالفشل. لم يبقَ له سوى أن يحاول حمايتها قدر استطاعته من الخطر الوشيك.

"إذن، كوني حذرة يا مانا،" قال كادي بصوت مهموم. "إذا كنتِ مصممة على البقاء، فسأبقى بجانبكِ. سأراقبكِ وسأحاول حمايتكِ من أي أذى قد يلحق بكِ من والدي أو من غيره. لكن أرجوكِ، كوني حذرة."

أومأت مانا برأسها بامتنان. "شكرًا لك يا أمير. مساعدتك تعني لي الكثير."

لكن في أعماق قلبها، كانت مانا تعلم أن حمايته لن تدوم طويلاً. كانت تحمل سرًا خطيرًا، وسلاحًا فتاكًا، وكانت مصممة على استخدامه في الوقت الملائم، حتى لو كان ذلك يعني تعريض نفسها للخطر الأكبر. اللعبة قد بدأت، وكانت مانا مصممة على لعبها حتى النهاية، مهما كانت العواقب.

مع حلول المساء، وتلك الساعات التي تسبق بدء ليالي السمر والطرب في بلاط الحاكم، انزوت مانا إلى غرفتها المتواضعة. كان قلبها يخفق بقوة مزيجًا من الترقب والقلق. الليلة، كانت تنوي أن ترتدي فستانها القرمزي الساحر، الثوب الذي خبأت في طياته زجاجة السائل الملعون الذي أخذته من مهروان، لتكون على أهبة الاستعداد لتنفيذ خطتها الحاسمة.

لكن ما إن فتحت صندوقها الخشبي الصغير، حتى تجمدت الدماء في عروقها. الفستان لم يكن موجودًا! اختفى الفستان القرمزي البراق، وكأنه

تبخر في الهواء. شعرت مانا بصدمة عنيفة تهز كيانها، وسؤال مرعب يتردد في ذهنها: من يمكنه أن يأخذ الفستان؟ ولماذا؟

اندفعت مانا خارج غرفتها، تجوب أروقة القصر بحثًا يائسًا. سألت "أسرار" بعيون دامعة، لكن العجوز نفت معرفتها بالأمر، وعلى وجهها علامات الحيرة والقلق. يا له من موقف لعين! كيف ستتصرف الآن؟ كيف ستنفذ خطتها دون سلاحها السري؟

قضت مانا وقتاً طويلاً في البحث المضني، فتشت كل زاوية مظلمة وكل خزانة مهجورة، لكن الفستان ظل مختفيًا بلا أثر. سألت الخدم والجواري، وحتى بعض الحراس الذين تجرأت على الاقتراب منهم، لكن الجميع أنكر معرفته بهذا الثوب المميز. كان اليأس يتسلل إلى قلبها البارد، وكأن خيوط مؤامرة خفية تحاك حولها. والوقت يمر.

أخيرًا، وقفت مانا أمام نافذة غرفتها، تنظر إلى سماء الليل الملبدة بالغيوم، ودموع مريرة تنحدر على وجنتيها. شعرت بالعجز والضياع، وكأن كل آمالها بدأت تتبخر. كيف ستواجه الحاكم الآن؟ كيف ستثأر لوالدها ولأمها الراحلة؟

وبينما كانت تقف في وحدتها ويأسها، لمحت حركة في الظلام خارج النافذة. للحظات، خفق قلبها بأمل واهٍ. ثم رأت أزرا يقترب من الشباك، يحط برفرفة

جناحيه الصامتة على حافة النافذة. وبرجله السوداء كانت مربوطة رسالة صغيرة مطوية، تحمل ختم مهروان المألوف.

فتحت مانا الرسالة بفضول ممزوج بوجل، والأسئلة تتراقص في ذهنها كشرر متطاير. طوت الرقاقة بين أصابعها المرتجفة، وعيناها تلتهمان الكلمات القليلة المكتوبة بخط مهروان القاطع

"يا ابنة نيلام الجميلة، أزرا رأى الشرارة التي بدأت تتوهج في قلبكِ تجاه ابن العدو. الفستان والزجاجة لن يعودا إليكِ إلا بوعد قاطع، قسمًا لا رجعة فيه،

بأن تقتلي هذا الحب الدخيل وتطرديه من روحكِ للأبد. اختاري، فليس لدينا وقت للتردد."

في تلك اللحظات العصيبة، شعرت مانا بقلبها يتمزق بين نارين. كلمات مهروان كانت واضحة وقاسية كضربة سيف. الفستان السحري والزجاجة الملعونة رهن إشارة منها، لكن الثمن كان باهظًا، أغلى مما كانت تتخيل. كان عليها أن تقدم وعدًا قاطعًا بنسيان كادي، بقتل كل ذرة من المشاعر التي بدأت تتشكل في قلبها تجاهه. أزرا، الشاهد الصامت على نظراتهما المتبادلة وهمساتهما الخافتة، قد نقل إلى سيدته أدق تفاصيل تلك الشرارة التي بدأت تشتعل بينهما.

الآن، وقفت مانا على مفترق طرق مصيري. الوقت يداهمها، ودقائق قليلة تفصلها عن دخول ديوان الحاكم، حيث يجب أن تكون مستعدة لتنفيذ خطتها. لكن هذا الوعد سيقتطع من روحها جزءًا ثمينًا، شيئًا لم تكن تتوقع أن تجده داخل قصر العدو، الحب. في هذا المأزق اللعين، تأكدت مانا أخيرًا من حقيقة مشاعرها تجاه كادي. لم يكن مجرد امتنان أو إعجاب عابر، بل كان حبًا حقيقيًا، عميقًا، نما في خضم الخطر والقلق.

لكن ماذا عن والدها الأسير، القابع في ظلمات الزنازين؟ ماذا عن الانتقام الذي قطعت على نفسها وعدًا بتحقيقه لروح أمها الراحلة؟ إن لم تقدم هذا الوعد لمهروان، فإن مغامرتها ستنتهي بكارثة محققة، وستفقد فرصتها الوحيدة لإنقاذ والدها والثأر لعائلتها.

كانت مانا تشعر وكأنها ممزقة إربًا إربًا. هل تضحي بالحب الذي بدأ يزهر في قلبها من أجل واجب الانتقام؟ هل تدفن مشاعرها الحقيقية وتعود إلى قلب بارد وصلب؟ لكن فكرة قضاء حياتها تتنفس في قصر الحاكم، ترى كادي كل لحظة دون أن تتمكن من الاقتراب منه أو البوح له بما في قلبها، كانت تبدو قاتمة ومستحيلة التحمل.

في خضم هذا الصراع المرير، رفعت مانا رأسها نحو السماء الملبدة بالغيوم، وعيناها تفيضان بالدموع. كانت تشعر وكأن قوى خفية تتلاعب بمصيرها، تضعها في اختبار قاسٍ لا تعرف كيف ستنجح فيه. الوقت يمضي، والقرار يجب أن يُتخذ. وعد سيقطع جسرًا من المشاعر الدافئة، أو رفض سيقودها إلى مستقبل مظلم ومجهول.

ماذا تختار؟ قلبها الذي بدأ ينبض بالحب، أم عقلها الذي يلح عليها بالانتقام؟ روحها التي تتوق إلى السعادة، أم ضميرها الذي يطالب بالعدل؟ أي طريق ستسلك في هذه الليلة المصيرية؟

الدقائق تتسارع نحو اللحظة الحاسمة التي سيطل فيها الحاكم على ديوانه، محاطًا بهالة من السلطة والغطرسة والوقت يمر كلمح البصر. وعلى حافة نافذة الغرفة، يقف أزرا صامتًا، عينان سوداوان ثاقبتان تنتظران قرارها الأخير، حكمها الذي سيحدد مسار الأيام القادمة. يا له من خيار قاسٍ يُلقى على عاتق قلب شاب لم يعرف من الدنيا إلا القليل من الفرح والكثير من الألم.

أغمضت مانا عينيها المثقلتين بالدموع، تستجمع قواها الداخلية في مواجهة هذا القدر القاسي. صورة والدها الأسير تتراءى أمامها، وصدى كلمات مهروان القاطعة يتردد في أذنها. بعد لحظات صمت عصيبة بدت كأنها دهر، فتحت مانا عينيها ببطء، ونظرت إلى الغراب الأسود الواقف على النافذة بنظرة حازمة لا رجعة فيها.

"يا أزرا،" قالت بصوت خافت لكنه يحمل صلابة الفولاذ، "عد إلى مهروان وأخبرها أنني حسمت أمري. أعِد إليّ الفستان السحري وزجاجة السائل

الملعون. لن يكون لكادي مكان في قلبي بعد هذه الليلة. لقد اخترت طريقي، ولن أحيد عنه مهما كلفني ذلك."

عند سماع كلماتها القاطعة، أطلق أزرا نعيقًا خفيفًا بدا وكأنه إقرار وتنفيذ للأمر. فرد جناحيه القويين وانطلق في سماء الليل الملبدة بالغيوم، يحمل معه وعدًا سيغير مسار الأحداث في قصر الحاكم إلى الأبد.

بعد رحيل الغراب، شعرت مانا ببرد يسري في أوصالها، لكنها كانت تشعر أيضًا بقوة جديدة تنبعث من أعماق روحها. لقد اتخذت قرارًا صعبًا، قرارًا سيؤلم قلبها، لكنه كان ضروريًا لإنقاذ والدها وتحقيق العدالة. الآن، لم يبقَ إلا أن تستعد لتنفيذ خطتها، وأن ترتدي ثوب الانتقام الذي سترتديه في حضرة الحاكم بعد لحظات قليلة. كانت تعلم أن هذه الليلة ستكون فاصلة في حياتها، وأن الثمن الذي ستدفعه سيكون باهظًا، لكنها كانت مستعدة لمواجهة كل شيء في سبيل هدفها النبيل.

CHAPTER 06

الفصل السادس

بخطوات واثقة وهدوء مصطنع يخفي عاصفة هوجاء تعتمل في صدرها، دخلت مانا إلى ديوان الحاكم. كانت ترتدي الفستان القرمزي الساحر الذي عاد إليها بأعجوبة، يلتف حول قامتها كشعلة صامتة، وبريقه الخافت يضفي عليها هالة من الغموض والجاذبية. رفعت رأسها شامخة، وعيناها الزرقاوان تلمعان ببريق مصمم، بينما الحاكم بهرام كان يجلس على عرشه الفخم، متهلل الوجه بقدومها، ينتظر بشوق أن يطرب سمعه بصوتها العذب.

بدأت مانا تنشد، صوتها ينساب في أرجاء الديوان كهمس الريح بين أغصان الشجر، ثم يعلو تدريجيًا ليملأ المكان بشجن عذب يخترق القلوب. كانت كلماتها مرثية مبطنة، أغنية حزن عميق على فقدان حبيب، وكأنها ترثي قصة حب ولدت في قلبها ثم قُتلت قسراً قبل أن تزهر

"يا ليلُ قد طال السُّهادُ بِمُهجَتي،

وذَوَتْ زُهورُ الأُنسِ في بستانِ.

حبيبيَ الغالي، قَدْ رَحَلْتَ بعيدًا،

وتركتَ قلبي في لظى النيرانِ.

ذكراكَ تَسْكُنُ خافقي أبدًا،

كطيفٍ جميلٍ يَزورُ أحلامي.

وهمساتُ حبٍّ نَسَجَتْهَا ليالينا،

تَرِنُّ في أذني كوقعِ السهامِ.

حاولتُ نسيانَكَ، عبثًا حاولتُ،

فجذورُ حبكَ ضاربةٌ بأعماقي.

وكلُّ نَجمةٍ في سماءِ ليلي،

تُذَكِّرُني بِعَيْنَيْكَ البراقتينِ.

فيا ليتَ شعري، هلْ تَشْعُرُ بِلَوْعَتي؟

وهلْ يَطْرُفُكَ الشَّوْقُ كما أضناني؟

سأظلُّ أذكرُ عهدَنا ما حييتُ،

وإنْ جَارَتْ الأيامُ وهَجَرَتْ أوطاني."

كان بهرام يستمع إلى إنشادها بذهول، وقد أسره جمال صوتها وعمق كلماتها. كان يرى فيها جوهرة نفيسة، بلبلًا شاديًا أتى ليملأ قصره بهجة وسرورًا. لم يلحظ الحزن العميق المتواري خلف نغماتها الآسرة، ولم يدرك أن هذه المرثية موجهة إلى شخص آخر غيره.

خلف إحدى الستائر المخملية الثقيلة، كان كادي واقفًا كتمثال صامت، يستمع إلى كلمات الأغنية وقلبه يعتصر ألمًا. كان يعرف جيدًا لمن توجه مانا هذه الكلمات الحزينة. كان يشعر بالأسى العميق لقرارها بالتضحية بمشاعرهما، ويدرك الثمن الباهظ الذي ستدفعه من أجل تحقيق هدفها. كانت كل كلمة تنشدها مانا تخترق قلبه كسكين بارد، تذكره بالحب الذي فقداه قبل أن يكتمل.

عندما انتهت مانا من إنشادها، ساد الديوان صمت مطبق للحظات، قبل أن يصفق بهرام بحرارة، وعيناه تبرقان إعجابًا.

"يا لها من موهبة فريدة! صوتكِ يا مانا يملك سحرًا لا يُقاوم. اطلبي ما تشائين مكافأة لكِ."

ابتسمت مانا ابتسامة باهتة، ثم انحنت بخفة وأمسكت بإبريق فضي كان يحمل مشروب الحاكم المفضل. وبحركات رشيقة تكاد لا تُرى، سكبت له كوبًا

ممتلئًا، وفي غفلة منه، تركت بضع قطرات من السائل الملعون تتساقط من الزجاجة الصغيرة المخبوءة في كف يدها إلى داخل الكوب. ثم قدمت الكوب إلى الحاكم بيديها اللتين ترتجفان بالكاد.

"هذا مشروبك المفضل يا مولاي، أتمنى أن تستمتع به." قالت له بنبرة دافئة، ولكنه فاجأها بردّه غير المتوقّع "لن أشرب قبل أن تطلبي ما تشائين مكافأة لك!".

تجمدت يد مانا للحظة وهي تقدم الكوب إلى الحاكم. لم تكن تتوقع هذا الرد. نظرت إلى حاكم بلادها بهرام بعينين متسعتين، تحاول إخفاء ارتباكها خلف قناع من الهدوء المصطنع. كان الحاكم يحدق بها بابتسامة واسعة، وكأنه يستمتع بهذا الاختبار الصغير. كانت عيناه تلمعان بفضول وترقب، ينتظران كلماتها.

"يا مولاي،" بدأت مانا بصوت خافت، لكنه كان يحمل نبرة واثقة، "أكبر مكافأة لي هي رضاك عن إنشادي وسرورك بحضوري في قصرك."

لكن بهرام هز رأسه ببطء، وعيناه لا تزالان مثبتتين عليها. "هذا جواب دبلوماسي يا مانا، لكنني أريد أن أعرف ما الذي تتمناه هذه الفتاة ذات

الصوت الساحر حقًا. لا تخافي، قولي ما يجول في خاطركِ، فلكِ عندي ما طلبتِ."

تنهدت مانا تنهيدة خفيفة، وكأنها تستسلم لإصراره. كانت تعلم أن عليها أن تطلب شيئًا، شيئًا لا يثير الشبهات، وفي الوقت نفسه يخدم هدفها البعيد. فكرت بسرعة، وقلبها يخفق بعنف.

"يا مولاي،" قالت أخيرًا، وقد استقر رأيها على فكرة ما، "سمعت عن حديقة القصر الجنوبية، وعن جمال أزهارها النادرة وأشجارها العتيقة. سيكون لي الشرف الأكبر لو سمحت لي بالاعتناء بتلك الحديقة المهملة وجعلها تزهو مجددًا بجمالها."

ابتسم بهرام ابتسامة واسعة أظهرت أسنانه القوية. "طلب غريب لخادمة، لكنه نبيل. لكِ ما أردتِ يا جميلتي. الحديقة الجنوبية تحت تصرفكِ. والآن، تفضلي." أشار إلى الكوب الذهبي الموضوع على الطاولة بجانبه.

التقطت مانا الكوب بيديها اللتين استعادتا شيئًا من ثباتهما وقدمته إلى الحاكم مرة أخرى. كان بهرام يراقبها باهتمام، ثم أخذ الكوب وارتشف منه رشفة طويلة، وعيناه لا تفارقان وجهها. ابتلعت مانا ريقها بصعوبة، تراقب الحاكم وهو يحتسي قطرات سائل مهروان الملعون الذي وضعته له.

خلف الستائر، شعر كادي بوخز حاد في قلبه. كان يراقب هذا المشهد بتوتر شديد، يرى مانا تقدم الشراب لوالده بيديها الجميلتين. لم يكن يعلم السر الرهيب الذي تخفيه تلك اللحظة، لكنه شعر بشيء مظلم يلف الأجواء. كان يرى إصرار مانا وعنادها، لكنه كان يخشى أن يكون هذا الإصرار يقودها إلى طريق الهلاك.

بعد أن ارتشف بهرام جزءًا من الشراب، وضعه على الطاولة وابتسم لمانا من جديد. "صوتكِ عذب كمذاق هذا الشراب. سأستمتع بلياليٍ عديدة بصحبتكِ."

أجبرت مانا نفسها على الابتسام. "الشرف لي يا مولاي."

"أحسنتِ يا مانا، صوتكِ بلسم للروح!" هتف بهرام بابتسامة واسعة، وهو يضع الكوب الذهبي على الطاولة. "أريد المزيد، أريد أن أستمع إلى عذوبة صوتكِ حتى مطلع الفجر."

وافقت مانا بانحناءة رشيقة. "بكل سرور يا مولاي، إنه لشرف لي أن أمتع سمعكم." وهمت أن تبدأ أغنية أخرى، لكن قبل أن ينطلق صوتها العذب في أرجاء الديوان، اقتحم كادي المكان بخطوات مسرعة، وجهه مشدودًا وعيناه تشتعلان بنيران الغضب والغيرة.

"والدي!" صاح كادي بصوت عالٍ، قاطعًا الصمت المطبق. "هذه الفتاة لن تغني لك بعد اليوم، ولن تكون جارية في هذا القصر. إنها ستكون زوجتي!"

صعق الحاضرون من كلمات الأمير المفاجئة، ودهشة عارمة ارتسمت على وجوههم. أما الحاكم بهرام، فقد ارتسمت على وجهه علامات الغضب والارتباك. "ما هذا الجنون الذي تتفوه به يا بني؟" صاح بهرام بصوت أجش.

"لست مجنونًا يا والدي،" أجاب كادي بنبرة حازمة لم يعهدها منه أحد. "أنا أحب مانا، وهي تبادلني المشاعر نفسها."

التفت الحاكم بنظرة حادة تقدح شررًا نحو مانا، وعيناه تخترقانها كالسهم. "هل صحيح ما سمعت أيتها الجارية؟ هل تجرؤين على التآمر مع ابني من وراء ظهري؟"

ارتجفت مانا خوفًا من نظرات الحاكم الغاضبة، لكنها تماسكت بسرعة وركضت نحو عرشه، جاثية على ركبتيها أمامه.

"يا مولاي، أرجوك اهدأ ولا تروّع. كل ما سمعته من ابنك محض هراء. لا أكنّ أي مشاعر لأحد، وكل ما أتمناه هو خدمتكم ونيل رضاكم."

صاح بهرام بغضب عارم، وهو ينظر إلى مانا وكادي بعينين محمرتين. "الحقيقة! أريد أن أعرف الحقيقة الآن!"

عادت مانا ترجو الحاكم بصوت متوسل. "يا مولاي، أقسم لك أن كل ما قاله الأمير لا أساس له من الصحة. أرجوك اشرب باقي الكوب ليهدأ روعك." ومدت يدها المرتجفة نحو الكوب الذهبي الموضوع على الطاولة.

تردد بهرام للحظة، ثم تناول الكوب وارتشف باقيه دفعة واحدة، وعيناه مثبتتان على وجه مانا المتوسل. وما هي إلا لحظات قليلة حتى بدأت علامات السحر تظهر على وجه الحاكم. تحول لون بشرته إلى شاحب رمادي، وعروق سوداء بدأت تنتشر على جبينه ويديه، وعيناه تبرقان ببريق شيطاني مرعب. مفعول اللعنة بدأ يسري في دمه.

انتشر الذعر في أرجاء الديوان، وتحولت همسات الإعجاب إلى صرخات فزع مكتومة. الحاضرون، وقد صعقوا من هذا التحول المفاجئ والمريع في ملامح الحاكم، تراجعوا بخوف، يراقبون المشهد المروع بأعين زائغة. كان بهرام يتلوى على عرشه، يمسك برأسه بكلتا يديه وكأنه يحاول أن يطرد ألمًا خفيًا يعذبه من الداخل. أنين مكتوم خرج من بين شفتيه المتيبستين، وسرعان ما تحول إلى صراخ مكتوم يهز أركان القصر.

كان كادي يقف مذهولًا، يراقب والده وهو يتخبط في براثن سحر غامض لم يفهمه. كلمات والده الغاضبة قبل لحظات عن زواجه بمانا تتردد في ذهنه كلعنة حقيقية. لقد أغضب والده، وربما كان غضبه هو السبب وراء هذا العذاب المفاجئ. شعر كادي بمسؤولية ثقيلة تقع على عاتقه، وعيناه تملؤهما الدموع والندم.

أما مانا، فقد كانت تراقب مفعول السائل الملعون يسري في عروق الحاكم بقلب قاسٍ وعينين مصممتين. اقتربت بخطوات هادئة من بهرام المتلوّي على عرشه، وتظاهرت بالهلع والحرص على مساعدته. انحنت فوقه وهمست بصوت خفيض لا يكاد يُسمع وسط أنينه "مولاي الحاكم، اهدأ. أعرف كيف أساعدك على التخلص من هذا الألم المميت، لكن يجب أن تأمر الجميع بالخروج من الديوان فورًا، بمن فيهم ابنك. يجب أن نبقى وحدنا. خلاصك معي وحدي، وإن لم تفعل، فإن الموت سيأخذك بعد أربع وعشرين ساعة."

بين ألمه المبرح وذهوله مما يسمعه، نظر بهرام إلى مانا بعينين زائغتين. كان يرى فيها ملاكًا منقذًا في هذا العذاب الذي لا يطاق. بتلعثم وأنين، رفع يده وأشار إلى حاشيته بصعوبة، وأمرهم بصوت ضعيف بالخروج من الديوان.

نظر كادي إلى والده بذهول وقلق، لكنه امتثل للأمر وخرج مع البقية، وقلبه يعتصره الخوف على مصير والده ومصير مانا.

عندما خلا الديوان إلا من مانا وبهرام المتألم، جلست مانا بجانبه ونظرت إليه بجدية. "الآن يا بهرام، استمع إليّ جيدًا. أنا لست مجرد جارية. أنا مانا، ابنة الرجل الذي سجنته ظلمًا. لقد جئت إلى هنا لأستعيد حق عائلتي وحق مهروان التي سلبت أرضها وكرامتها منذ سنوات طويلة."

تأوه بهرام ألمًا، لكن عينيه كانتا مثبتتين على مانا بذهول ورهبة.

"لقد سممتك،" تابعت مانا بصوت حازم، "وهذا السم سيقتلك خلال أربع وعشرين ساعة ما لم تفِ بوعدي. أطلق سراح والدي وجميع السجناء الأبرياء في الزنازين السفلى. أعد حق مهروان وعائلتها. إذا فعلت كل هذا قبل انقضاء الوقت، سأوقف عنك هذه اللعنة. لكن اعلم، إن لم تنجز وعدك كاملًا قبل مرور الأربع والعشرين ساعة، فإن الموت سيكون مصيرك المحتوم."

نظر بهرام إلى مانا بعينين يملؤهما الألم والخوف، ثم أومأ برأسه بصعوبة، علامة على موافقته على شروطها تحت وطأة العذاب الرهيب الذي يعانيه والخوف من الموت الوشيك. كانت مانا تراقب رد فعله ببرود، تعلم أن كلماتها هي فرصته الأخيرة للبقاء على قيد الحياة.

خرجت مانا من أبواب الديوان الثقيلة، تاركة خلفها صرخات مكبوتة وأنينًا خافتًا لرجل يتصارع مع سحر أسود يوشك أن يقضي عليه.

وجدت مساعد الحاكم يقف بالقرب من المدخل، وعلى وجهه علامات القلق والارتباك لما شاهده في الداخل. كان الأمير كادي يقف بجانبه، شارد الذهن، يتمتم بكلمات يائسة تحمل مرارة اللوم.

"يا حضرة المساعد،" قالت مانا بصوت هادئ لكنه يحمل نبرة آمرة، "مولاي الحاكم يريدك بالداخل. لديه بعض التكليفات الهامة لك."

أومأ المساعد برأسه بخوف وتردد، ودخل إلى الديوان بخطوات ثقيلة، بينما التفتت مانا إلى كادي. كان الأمير واقفًا كتمثال حزين، وعيناه مثبتتان على أبواب الديوان المغلقة، يتمتم بأسى: "أنا السبب... أنا السبب..."

اقتربت مانا منه ومدت يدها وأمسكت بذراعه برفق، لكن بثبات. "أعدك يا أمير البلاد أنه سيكون بخير." نظرت إليه مباشرة في عينيه، محاولة أن تنقل إليه شيئًا من يقينها وقوتها. "وكما أنقذتك من سم العقرب المميت في الغابة، سأنقذ حاكم البلاد أيضًا."

رفع كادي رأسه ببطء ونظر إليها بامتنان عميق يملأ عينيه. كان يرى فيها نورًا وسط الظلام، أملًا في قلب اليأس. همس بصوت خافت يختلط فيه الإعجاب بالدهشة: "أي ملاك أنتِ؟"

ابتسمت مانا ابتسامة باهتة تخفي وراءها حزنًا دفينًا. "أنا لست بملاك يا أمير. أنا... سأرحل من هنا بعد ساعات قليلة، برفقة والدي وصديقي زمزم. ولن نرى بعضنا بعد ذلك."

ارتعش جسد كادي لكلماتها، وشعور حاد بالفقدان اجتاح قلبه. "ماذا تقولين؟ سترحلين؟ إلى أين؟"

نظرت مانا إلى الأفق البعيد. "إلى حيث ننتمي يا أمير. إلى نيلام الزرقاء. سأنقذ الحاكم بعد أن يحرر والدي، وهكذا أكون قد أنجزت ما جئت من أجله." كانت كلماتها تحمل وداعًا ضمنيًا، نهاية قصة حب قصيرة لكنها عميقة، ولدت في قلب الخطر وستنتهي في لحظة الانتصار المرير.

تجمدت كلمات كادي على شفتيه، وعيناه مثبتتان على مانا بذهول ورفض. لم يستطع استيعاب فكرة رحيلها، بعد كل ما مرا به، بعد تلك اللحظات القليلة التي شعر فيها بأن قلبه قد وجد أخيرًا موطنًا.

"نيلام؟ لكن... لماذا ترحلين الآن؟ بعد كل هذا الخطر الذي واجهتيه؟ بعد أن... بعد أن شعرت بأن هناك شيئًا يربطنا؟" كانت كلماته تخرج متقطعة، تحمل رجاءً يائسًا.

أدارت مانا وجهها عنه قليلًا، ثم ألقت نظرة على الحديقة الشاسعة للقصر، حيث تتلألأ النجوم في السماء كجواهر براقة "هناك حياة تنتظرني يا أمير. عائلة وأصدقاء ووطن. أما هنا... كان يجب أن أنجز مهمتي فقط."

لكن صوتها حمل نبرة حزن خفية، وكأن جزءًا منها كان يود البقاء، جزءٌ تأثر بصدق مشاعر كادي وقلقه النبيل. غير أنها كانت تدرك أن إخلاف وعدها مع مهروان سيجلب لها ولكادي لعنات كثيرة.

"وأنا؟" همس كادي بصوت يكاد لا يُسمع، وكأنه يخاطب نفسه أكثر مما يخاطبها. "ألا يعني لكِ وجودي شيئًا؟ تلك اللحظات التي قضيناها معًا؟"

التفتت مانا إليه مرة أخرى، وعيناها تحملان مزيجًا من الأسى والوداع. "تعني الكثير يا كادي. لقد كنت نعم السند والعون. ولن أنسى أبدًا لطفك وشجاعتك. لكن... طريقنا مختلف. قدرنا يسير في اتجاهين متباعدين."

مد كادي يده ببطء وكأنه يريد أن يلمسها، لكنه تردد وتراجعت يده في الهواء. "لكن... يمكننا أن نصنع قدرًا جديدًا. يمكننا أن نبقى هنا معًا."

هزت مانا رأسها بحزن. "لا يا كادي. هذا القصر ليس مكاني. ووجودي هنا كان مؤقتًا. يجب أن أعود إلى حيث أنتمي."

صمت كادي للحظات، ثم قال بصوت خافت يخالطه اليأس "إذن... هذا وداع؟"

أومأت مانا برأسها ببطء، ودمعة متمردة شقت طريقها على خدها. "وداعًا يا أمير."

ثم استدارت ورحلت بخطوات ثابتة نحو غرفتها في القصر، تاركة خلفها أميرًا شابًا يقف مكسور القلب، يشاهد شبح حب عابر يتلاشى. كانت تحمل في قلبها وعدًا قطعته على نفسها بتحرير والدها، ووعدًا آخر قطعته لكادي ضمنيًا، بأن ذكراه ستبقى محفورة في أعماق روحها إلى الأبد، حتى وإن لم يلتقيا بعد ذلك أبدًا. كانت تعلم أن مهمتها لم تنتهِ بعد، وأن عليها أن تعود إلى غرفتها لتستعد للمواجهة القادمة. الألم الذي شعرت به عند وداع كادي كان دافعًا إضافيًا لها للمضي قدمًا، لتثبت لنفسها ولروح أمها أنها قادرة على تحقيق العدل والانتقام.

تسمّرت قدما كادي في مكانهما، وعيناه تلاحقان طيف مانا المتواري في دهاليز القصر، كأن الظلام يبتلع آخر خيوط النور التي أضاءت حياته. شعر بفجوة عميقة تتّسع في صدره، فراغًا لا يملؤه سوى صدى كلماتها الأخيرة "وداعًا يا أمير"... كلماتٌ كانت بمثابة الستار المسدَل على فصلٍ قصير من الأمل، تاركةً وراءها قلبًا يتمزّق أسىً.

لم يقو كادي على البقاء في هذا المكان الذي شهد آخر نظرة منها، آخر همسة وداع. استدار بعنف، وكأن قوة خفية تدفعه، واندفع بخطوات ثقيلة نحو الإسطبلات. لم يرَ الخدم المنحنين أمامه، ولم يعر اهتمامًا لتحذيراتهم الخافتة. كان الألم ينهش قلبه، ورغبة جامحة في الفرار من هذا الواقع البارد هي كل ما يسيطر عليه.

بيدين ترتجفان، امتطى كادي صهوة جواده الأسود "ظل"، الذي كان يصهل قلقًا وشعورًا بضيق صاحبه. وبلا هدف أو وجهة محددة، وخز كادي خاصرة "ظل" بعصبية، فانطلق الجواد كالسهم المنطلق من قوس، يمزق سكون الليل خارج بوابات القصر، متجهًا نحو العزلة التي قد تخفف وطأة حزنه.

ابتعد كادي بـ"ظل" مسافة طويلة، يخترق البساتين المعتمة والوديان الصامتة، حتى وصل إلى مشارف غابة كثيفة الأشجار. وبينما كان شارد

الذهن، سمع أنينًا خافتًا يأتي من جانب الطريق. ترجل كادي عن جواده، وتوجه نحو مصدر الصوت، ليجد امرأة مسنة تجلس على الأرض بجانب عربة خشبية مكسورة العجلة، وعلامات التعب واليأس بادية على وجهها الشاحب.

لم يتردد كادي لحظة في تقديم المساعدة. نسي ألمه وهمومه وانخرط في إصلاح عجلة العربة المكسورة بمهارة. شعرت المرأة المسنّة بالامتنان العميق لهذا الشاب الغريب، ودعته إلى كوخها المتواضع القريب لتناول العشاء والراحة قبل أن يكمل طريقه. لم تعرف المرأة قط أنه أمير البلاد وولي العهد، ورأته مجرد عابر سبيل طيب القلب.

قضى كادي الليل في كوخ المرأة العجوز، وتبادل معها أطراف الحديث. وجد في حديثها البسيط عزاءً مؤقتًا، وشعر بالراحة لبوحه بقصته الموجعة عن مانا، عن الحب الذي فقده قبل أن يكتمل. استمعت المرأة العجوز إليه بإنصات وحكمة، وعندما انتهى من حديثه، قالت له بهدوء: "يا بني، دع مانا تذهب. إذا كان قدركما أن تكونا معًا، فسوف يجمعكما القدر مرة أخرى."

اعترض كادي بحدة، واليأس يعود ليخيم على قلبه: "لا يا سيدتي، لا أيتها الطيّبة الكريمة، لا أستطيع أن أتخيل حياتي بدونها. لقد أصبحت كل شيء بالنسبة لي."

ابتسمت المرأة العجوز ابتسامة غامضة، ثم طلبت منه أن يفتح كفه. فعل كادي بتردد، فوضعت المرأة في كفه ثلاث حبات قمح صغيرة مباركة. "عليك الآن فورًا أن تذهب إلى نيلام وتزرع حبة واحدة أمام بيت الفتاة التي أحببتها. ثم مر إلى الغابة حيث التقيتها أول مرة وازرع الحبة الثانية. وعد إلى القصر قبل بزوغ شمس الصباح وازرع الحبة الأخيرة. وعندما ستنبت السنابل الثلاث المباركة وقبل أن يتحول لونها من الأخضر إلى الذهبي، ستكون مانا زوجتك."

CHAPTER 07

الفصل السابع

استيقظت مانا على خفقات متتالية على باب غرفتها، صوت خافت ولكنه مُلحّ اخترق سكون الصباح الباكر. فتحت عينيها ببطء، وشعور غامض بالترقب يلف روحها. كانت "أسرار" تقف خلف الباب، وعلى وجهها تعابير متداخلة من الحذر والإثارة.

"يا مانا، استيقظي! هناك أمر عظيم ينتظركِ في الديوان." همست "أسرار" بصوت يكاد لا يُسمع، وكأنها تخشى أن يسمعهما أحد.

نهضت مانا من فراشها بتوجس، وتساءلت عن سر هذه اللهفة المفاجئة. "ما الأمر يا أسرار؟ ماذا حدث؟"

"والدكِ... برّاك... إنه هنا! خارج أسوار السجن، ينتظركِ في الديوان!" تمتمت "أسرار" والدهشة بادية في عينيها. "ومعه حقائب وصناديق... صناديق مليئة بالذهب! يقول معاون الحاكم إنها لمهروان."

تجمدت مانا في مكانها، وقلبها يخفق بعنف. والدها حيّ! وحر طليق! والأموال المستحقة لمهروان قد وصلت أخيرًا! شعور طاغٍ بالفرح والانتصار اجتاح روحها، لكن سرعان ما خيم عليه ظل ثقيل من القلق.

"لكن... كيف؟ كيف أُطلق سراحه؟" سألت مانا بذهول.

"يقولون إن الحاكم أصدر أمرًا بالإفراج عن السجناء جميعهم في الزنازين السفلية في وقت متأخر من الليلة الماضية، وأمر بإحضار هذه الأموال إلى هنا،" أجابت "أسرار" وهي تراقب رد فعل مانا بفضول. "لكن هناك شرط..."

تصلبت ملامح مانا، وشعرت بقبضة باردة تلف قلبها. "ما هو الشرط؟"

"يقولون إنكِ لن تستطيعي الوصول إلى الديوان واستلام صناديق مهروان، ولا حتى رؤية برّاك، إلا إذا نفذتِ وعدك مع الحاكم."

تجمدت أنفاس مانا في صدرها. الوعد... وعدها بقتل الحب الذي تكنه لكادي. كان الثمن باهظًا، لكن رؤية والدها حرًا، واستعادة حق مهروان، كانا هدفين غالين يفوقان أي ألم شخصي.

"إذن، يجب أن أفي بوعدي،" قالت مانا بصوت هادئ ولكنه يحمل تصميمًا لا يلين. "يا أسرار، ادعي جميع من في القصر إلى الديوان. اليوم، سيشهدون رقصة مانا."

نظرت "أسرار" إلى مانا بدهشة، ولم تفهم مغزى كلماتها. "رقصة مانا؟ ماذا تقصدين؟"

ابتسمت مانا ابتسامة غامضة. "سترين يا أسرار. سترى رقصة لم يعهدها هذا القصر من قبل. اذهبي الآن ونفذي ما طلبت."

تركت "أسرار" الغرفة وهي لا تزال تحت تأثير الدهشة، بينما وقفت مانا أمام المرآة، تتأمل انعكاس وجهها الشاحب وعينيها اللتين تشتعلان بعزم. كانت تعلم أن اليوم سيكون حاسماً، وأن عليها أن تلعب دورها ببراعة حتى النهاية. والدها ينتظر، وحق مهروان يجب أن يعود. أما قلبها... فستدفنه عميقًا، بعيدًا عن الأنظار، حتى يحين وقت آخر.

انتشر همس غامض بين جدران قصر الحاكم، يشي بخبرٍ أثار الفضول بين النبلاء والخدم على حدٍ سواء "رقصة مانا"... عبارة تناقلتها الألسن بترقب، وكأنها نبوءة تحمل أسرارًا مخفية.

أما الأمير كادي، فقد أمضى ليلة عصيبة لم يذق فيها طعم النوم. بعد أن ودّع المرأة العجوز، حمل في راحته حبات القمح الثلاث المباركة، وامتطى حصانه "ظل"، مندفعًا في رحلة ليلية حملته عبر المسافات بسرعة الريح. نبضات قلبه تخفق بين الأمل واليأس، حتى وصل إلى نيلام الزرقاء قبيل بزوغ الفجر. هناك، تسلل خلسة إلى باب منزل مانا المتواضع، وغرس الحبة الأولى في التربة الندية أمامه، وهو يهمس في أعماقه أمنية خفية أن تنبت هذه البذرة بمعجزة تحملها إليه.

عاد أدراجه مسرعًا إلى البقعة التي شهدت لقاءهما الأول، حيث أنقذته مانا من لدغة العقرب. وهناك، غرس الحبة الثانية، مسترجعًا ارتعاشها خوفًا عليه، وإصرارها على أن تبقى حياته ممتدة في هذه الدنيا. وقبل أن يفضح الشروق غيابه، كان كادي قد عاد إلى القصر، ليغرس الحبة الثالثة في حديقته، مستودعًا فيها كل آماله وأحلامه، رابطًا مصيره بسنابل لم تنبت بعد.

وعندما وصله خبر رقصة مانا العلنية أمام الحاكم، اجتاحه غضبٌ عارم، كأن الكلمات التي سمعها طعنة خائنة انغرست في قلبه. شعر بأنها ابتعدت عنه، واختارت طريقًا لا يتقاطع مع طريقه، كل خطوةٍ تخطوها تُباعد المسافة بينهما أكثر فأكثر. فرفض رفضًا قاطعًا أن يكون شاهدًا على هذا المشهد، الذي لم يرَ فيه سوى خيانة لمشاعره. حتى وداعها، الذي لطالما تمناه، أصبح مستحيلًا الآن.

آثر أن يحبس نفسه في غرفته، يكتوي بنار الغيرة والحسرة، بينما مانا كانت تستعد بعد رقصتها للرحيل برفقة والدها وصديقها زمزم وحمارهم البائس شكلوب، تاركةً خلفها فراغًا لن يملأه شيء في حياته. كان يائسًا وغاضبًا، لكن في أعماق روحه الممزقة، ظلّ جزء صغير منه متشبثًا بتلك البذور الثلاث، وبوعد عجوزٍ كريمة كانت كلماتها تحوي سحرًا لا يُفسَّر.

حان الآن موعد رقصة مانا. انتشر همس الإثارة والترقب بين الحاضرين في الديوان، الذين تجمعوا لمشاهدة هذا الحدث الغريب. كان الحاكم بهرام يجلس على عرشه، شاحب الوجه وعلامات الضعف بادية عليه، لكن عينيه كانتا مثبتتين على مانا بفضول ودهشة. كان ينتظر هذا العرض الغامض الذي وعدته به، دون أن يعلم السر العظيم الذي يكمن فيه.

دخلت مانا إلى وسط الديوان، مرتدية فستانها القرمزي الساحر الذي كان يلتف حول جسدها كشعلة صامتة. بريق خافت ينبعث من خيوطه، يضفي عليها هالة من الجاذبية الغامضة. رفعت رأسها ببطء، ونظرت إلى الحاكم

نظرة ثابتة تحمل في طياتها قوة خفية. ثم بدأت الموسيقى تعزف لحنًا ساحرًا، لحنًا قديمًا يلامس الروح ويهز المشاعر.

بدأت مانا ترقص. لم تكن رقصتها مجرد حركات جسد متناسقة، بل كانت تعبيرًا عن قصة، عن ألم الفقد، وعن قوة الأمل، وعن سحر أرضها وروح شعبها. كانت تدور وتلتف بخفة ورشاقة، وكأنها نسيم يداعب أغصان الشجر، أو لهب يرتفع ويتصاعد نحو السماء. كان الفستان السحري يتحرك معها، تتغير ألوانه ببطء، من القرمزي الداكن إلى درجات أفتح، ثم يتمازج بظلال ذهبية خفيفة، وكأنه يمتص الطاقة السلبية من حوله ويحولها إلى نور.

كان الحاكم بهرام يشاهد الرقصة بذهول متزايد. شعر بشيء غريب يتغير داخله، ألم خفيف بدأ يخبو، وشعور بالسلام الداخلي يتسلل إلى روحه المضطربة. العلامات الداكنة على وجهه بدأت تتلاشى تدريجيًا، وعادت إليه بعض من ملامحه المعهودة. كان سحر الرقصة يسري في جسده، يطهره من اللعنة التي أصابته.

العيون كلها كانت مثبتة على مانا، التي كانت ترقص بكل جوارحها، وكأنها تقدم روحها قربانًا. كانت تعلم أن نجاح مهمتها يعتمد على هذه اللحظة، وأن عليها أن تستمد القوة من أعماق قلبها ومن ذكرى والدها ومهروان.

ومع تصاعد الموسيقى واشتداد حركات مانا، بدأ الفستان يتوهج بضوء ذهبي ساطع، يملأ الديوان بنور دافئ. شعر الحاكم بقوة غريبة تسري في جسده، وكأن الحياة تعود إليه من جديد. سقط على ركبتيه، وعيناه مغرورقتان بالدموع، ليس دموع الألم هذه المرة، بل دموع الشفاء والدهشة والندم على كل ما اقترفه من ظلم واستبداد في حياته. لقد بدأت اللعنة تتلاشى، وسحر مانا كان أقوى من السحر الأسود.

على أبواب القصر الشاهقة، اصطفت عربات الحاكم الفخمة، تنتظر بهدوء استعدادًا لرحلة العودة إلى نيلام الزرقاء. كانت مهمة مانا قد أوشكت على الانتهاء، وقد حان وقت الوفاء بالوعد الذي قطعته على نفسها بالعودة إلى وطنها برفقة والدها وزمزم.

قبل أن تخطو مانا قدمها خارج عتبة القصر، اقترب منها الحاكم بهرام، الذي استعاد رونقه وعافيته على نحو ظاهر. أمسك بيديها الناعمتين برفق، ونظر إليها بعينين تملؤهما الامتنان الصادق. قبّل يديها بحنان، وكأنه يقدم شكرًا عميقًا من أعماق قلبه.

"يا نورًا أضاء عتمتي، ويا يدًا شفيت روحي،" قال بهرام بصوت مؤثر، "لقد محوتِ من قلبي كل ما هو أسود، وأعدتِ إليه الصفاء والنقاء. لن أنسى لكِ هذا المعروف الكبير ما حييت."

أثناء كلمات الشكر والثناء هذه، كانت عينا مانا الزرقاوان تجولان في أرجاء الديوان الواسع، تبحثان بلهفة صامتة عن طيف كادي. كانت تتمنى أن تراه ولو للحظة عابرة، أن تودعه بنظرة بعيدة تحمل في طياتها المشاعر كلها التي لم تستطع البوح بها. لكن الأمير الشاب ظل غائبًا، مختبئًا خلف أسوار غرفته، يصارع ألمه ووحدته.

تنهدت مانا تنهيدة خفيفة، مزيج من الحزن والرضا يختلج في صدرها. كان عليها أن ترحل، وأن تترك خلفها ذكرى حب عابر لم يكتمل. حان وقت العودة إلى نيلام.

خرجت مانا من القصر، حيث كان والدها براك ينتظرها بدموع الفرح الغزيرة وعينين تبرقان بالسعادة. عانقته عناقًا طويلًا، شعور بالأمان والدفء يغمر روحها بعد طول فراق وقلق. بجانبه، كان زمزم يقف بابتسامة عريضة، يحمل على كتفه حقيبة صغيرة ويسحب "شكلوب" الحمار الوفي الذي رافقهم في رحلتهم المحفوفة بالمخاطر.

ركب الجميع العربات الفخمة، وصناديق ذهب مهروان الثقيلة موضوعة بأمان بجانبهم، أمانة ستصل إلى مستحقيها أخيرًا. انطلقت العربات ببطء عبر البوابات الضخمة، متجهة نحو الطريق الطويل المؤدي إلى نيلام الزرقاء، إلى ذلك المنزل الدافئ حيث تنتظرهم وردانة بقلب مشتاق وذراعين مفتوحتين. كانت نهاية رحلة مليئة بالتحديات والمشاعر المتضاربة، وبداية فصل جديد في حياة مانا وعائلتها، فصل يملؤه السلام والأمان والعودة إلى الجذور.

في عربة فاخرة تجرها خيول أصيلة، جلست مانا بجوار والدها براك، الذي كان يمسك بيدها وكأنه يخشى أن تختفي مرة أخرى. كانت عيناه تفيضان بالحب والامتنان، وابتسامته لم تفارق شفتيه طوال الرحلة. لكن مانا كانت تحمل في قلبها ثقلاً يجب أن تبوح به.

"يا أبي..." بدأت مانا بصوت خفيض، وعيناها تتجنبان عينَي والدها.

نظر إليها براك بقلق. "ما الأمر يا ابنتي؟ هل أنتِ بخير؟"

تنهدت مانا بعمق. "هناك شيء يجب أن تعرفه يا أبي... شيء حدث في فترة غيابك عنّا." توقفت للحظة، تستجمع قواها. "والدتنا... ليل... لقد توفيت."

تجمدت ابتسامة براك، وتحول وجهه تدريجيًا إلى شاحب. ارتخت قبضته على يد مانا، وعيناه تملأهما الذهول والألم. "ليل؟ ماتت؟ متى... كيف؟"

روَت مانا لوالدها بصوت مهزوز تفاصيل وفاة والدتها، عن مرضها المفاجئ وعن حزنها العميق لعدم تمكنها من وداعه. استمع برّاك بصمت، ودموعه تنحدر بصمت على وجنتيه. كان الحزن يخيم على العربة، صمت ثقيل يقطعه أنين مكتوم من برّاك.

بينما كانت العربة تشق طريقها عبر التلال، حلّق أزرا فوقهم في سماء النهار، دائرة واسعة ثم أخرى، قبل أن ينطلق بسرعة نحو نيلام الزرقاء. حمل معه بشرى عودة الحق، ونبأ انتصار مانا.

زمزم كان يجلس في العربة المقابلة، يتبادل النظرات الدافئة مع مانا وبراك، وشعور بالراحة والانتصار يغمر قلبه. حتى "شكلوب" الحمار الوفي كان يسير بهدوء خلف العربات، وكأنه يشعر بنهاية الرحلة المحفوفة بالمخاطر.

خلال الرحلة، تبادل برّاك ومانا القصص عن السنوات التي قضوها منفصلين، عن الألم والأمل، عن الصمود والإصرار. حكى برّاك عن الظروف القاسية في السجن وعن الأمل الذي كان يستمده من ذكرى عائلته. وحكت مانا عن

رحلتها المحفوفة بالمخاطر إلى قصر الحاكم وعن التحديات التي واجهتها في سبيل إنقاذه واستعادة حق مهروان.

ومع اقترابهم من نيلام الزرقاء، بدأت المناظر الطبيعية تتغير. ظهرت التلال الخضراء المكسوة بأشجار اللبخ، وبدأت رائحة الياسمين والزعتر تفوح في الهواء. شعرت مانا بدفء غريب يسري في عروقها، شعور بالانتماء والعودة إلى الجذور.

عندما وصلت العربات إلى مشارف نيلام الزرقاء، كانت وردانة تقف في مقدمة المستقبلين، لكن هذه المرة لم تكن وحدها. كانت تقف بجانبها مهروان، وجهها يشع بالأمل المنتظر، وإلى جانبهما باقي أهل نيلام، الذين خرجوا فور أن أعلمتهم مهروان للترحيب بعودة برّاك ومانا. لم تعد مهروان منبوذة بعد اليوم. فمساعدتها لمانا جعلت منها امرأة محبوبة وموقرة في نيلام.

عندما وصلت العربات وظهرت مانا ووالدها، انطلقت صيحات الفرح والترحيب. ركضت وردانة نحو مانا وعانقتها عناقًا حارًا، وتبعتها مهروان بابتسامة واسعة تملأ وجهها. استقبل أهل القرية برّاك بالترحاب الحار، وعادت نيلام الزرقاء تحتفل بعودة أبنائها واستعادة الحق المسلوب.

استقبل منزل برّاك أهل نيلام بحفاوة بالغة. كانت جدرانه الطينية الدافئة تنبض بالحياة، ورائحة الخبز الطازج تملأ الأرجاء. اجتمع الأهل والأصدقاء والجيران، يتبادلون التهاني والقصص، والفرحة تغمر القلوب بعد طول انتظار وقلق.

مهروان، التي استعادت أخيرًا حق عائلتها بفضل شجاعة مانا، لم تفارقها لحظة. كانت تعانقها بين الحين والآخر بدموع الامتنان، تشكرها على ما فعلته من أجلها رغم أنها كانت قاسية معها في وقت من الأوقات. ولم تكتفِ بذلك، بل تبرعت بجزء كبير من ثروتها المستعادة لجميع أهل نيلام، كبادرة

شكر وعرفان لمحبتهم لها، فهي لم تعد تلك المرأة المنبوذة التي تخشى نظرات الآخرين، بل أصبحت شخصية محترمة ومحبوبة في القرية، تستقبل التهاني والتبريكات من الجميع.

بينما كانت الأجواء مليئة بالأحاديث والأخبار، سحبت وردانة شقيقتها الصغرى مانا برفق إلى داخل المنزل. أمسكت بيدها وقادتها إلى غرفة هادئة، حيث قدمت لها هدية كادي الذي تركها لها قبل أن يتلقى منها الرسالة. ذرفت عينا مانا الدموع واحتضنت الهدية بقوة وروت لوردانة قصتها مع هذا الأمير الشاب، وعن الحب الذي نشأ بينهما في خضم الخطر، وعن الوداع المرير عند رحيلها.

لكن في زاوية من قلبها، كان هناك خيط رفيع من الحنين، ذكرى أمير شاب تركته خلفها في قصر الحاكم. كانت تتساءل عن حاله، وعما إذا كان قد نسيها أم لا. لكنها كانت تعلم أن طريقيهما قد افترقا، وأن لكل منهما قدرًا مختلفًا.

مرت الأيام ببطء في نيلام الزرقاء، وعادت الحياة إلى طبيعتها الهادئة. برّاك استعاد قوته، ومهروان بدأت تستثمر الذهب المستعاد في مشاريع تعود بالنفع على أهل نيلام. زمزم كان سعيدًا بعودته إلى قريته وأصدقائه، وكان دائمًا بجانب مانا ووالدها، يساندهما ويقدم لهما العون.

أما مانا، فقد وجدت عزاءها في دفء عائلتها وحب أهل قريتها. كانت تزور قبر والدتها ليل بانتظام، تحدثها عن انتصارهم وعن عودتهم إلى نيلام. كانت تشعر بروح والدتها تحوم حولها، تمنحها القوة والسلام.

وفي أحد الأيام، بينما كانت مانا تسير بمفردها بين أشجار اللبخ، شعرت بحركة خفيفة فوق رأسها. رفعت نظرها فرأت أزرا يحلق فوقها، يحمل في منقاره ريشة سوداء لامعة. حط الغراب على غصن قريب ونظر إليها بعينين ثاقبتين، قبل أن يترك الريشة تسقط أمام قدميها وينطلق مجددًا نحو السماء.

التقطت مانا الريشة السوداء، وشعور غامض بالترقب يلف روحها. كانت تعرف أن أزرا لا يأتي عبثًا. كانت هذه الريشة بمثابة رسالة صامتة، تذكرها بعالم تركته خلفها، وربما تشير إلى مستقبل غير متوقع ينتظرها. نظرت مانا إلى الريشة في كف يدها، وتساءلت عما يخبئه لها القدر. لم تتردد لحظة، وانطلقت مسرعة نحو قصر مهروان الجديد المقام على تلة نيلام الزرقاء، لتستفسر عن معنى تصرف أزرا.

وصلت مانا إلى قصر مهروان، الذي بُني حديثًا على إحدى تلال نيلام الزرقاء، شامخًا كرمز للانتصار والاستقرار. استقبلتها مهروان بابتسامة دافئة وعينين تفيضان بالود.

"يا مانا، تبدين قلقة. ماذا حدث؟" سألت مهروان وهي ترى التوتر بادياً على وجه صديقتها.

رفعت مانا الريشة السوداء في كف يدها. "أزرا... لقد ترك هذه الريشة لي. أتساءل ما الذي يعنيه هذا؟"

"أخذت مهروان الريشة وتفحّصتها بعناية. "ريشة سوداء... من أزرا... هذا يعني رسالة من بعيد." حدّقت إلى مانا بتمعّن.

"قلبكِ... هل ما زال يهفو إلى قصر الحاكم؟ إلى الأمير كادي؟"

تنهدت مانا بحزن. "لقد كان طيبًا معي، وساعدني في مهمتي. لكننا افترقنا... بسبب الوعد الذي قطعته لكِ."

ابتسمت مهروان بحنان. "يا مانا، لقد حان الوقت لتتحرري من ذلك الوعد. لقد استعدتُ حقي وحق عائلتي بفضلكِ. إذا كان قلبكِ ما زال يهتف باسم الأمير كادي، فلا تترددي أبدًا."

هزت مانا رأسها بيأس. "أظن أنه قد نسيني حتمًا يا مهروان. لقد مر وقت طويل."

في تلك اللحظة، دخل زمزم إلى القصر، وعلى وجهه علامات الاستغراب. "يا مانا، هناك ضيف ينتظركِ عند باب منزلكم. يقول إنه يحمل رسالة لكِ."

تبادلت مانا ومهروان نظرات متسائلة. من يمكن أن يرسل رسالة إلى مانا في نيلام الزرقاء؟ خرجت مانا مسرعة برفقة زمزم نحو منزلها، وقلبها يخفق بتوقع غامض.

عندما وصلت إلى باب المنزل، رأت شخصًا غريبًا يقف بجوار حصان أسود مهيب. كان الرجل يرتدي ملابس سفر بسيطة، لكن هالة من النبل كانت تحيط به. وعندما رفع رأسه، صعقت مانا. كان الأمير كادي.

تجمدت مانا في مكانها، وعيناها متسعتان دهشة. لم تستطع تصديق ما تراه. كادي هنا؟ في نيلام الزرقاء؟

ترجل كادي عن حصانه، ونظر إلى مانا بعينين تفيضان بالحب والشوق. لم ينطق بكلمة، بل ركع على ركبته أمامها بحركة ملكية وقورة. وبين يديه، برز خاتم ذهبي بسيط لكنه نفيس، يلمع في ضوء شمس نيلام. وإلى جانبه، قدم

لها ثلاث سنابل من الذهب، متلألئة وكأنها تجسيد لوعد تحقق. كانت تلك السنابل تنبض ببريق خفي، تشهد على قوة الحب والإيمان بكلمات العجوز الكريمة التي منحته ثلاث حبات قمح مباركة. لقد نبتت هذه السنابل الذهبية بأعجوبة من تلك الحبات نفسها التي غرسها بإخلاص: الأولى أمام منزلها في نيلام، والثانية في الغابة حيث التقيا أول مرة، والثالثة في حديقة قصره قبل بزوغ الفجر. كانت تلك السنابل الذهبية بمثابة وعد بالزواج، وعلامة على أن الحب الحقيقي يتجاوز المستحيل.

حدّقت مانا في السنابل الذهبية والخاتم المتألق، وقلبها يخفق بقوة في صدرها، عاجزة عن النطق. غمرتها الدهشة والفرحة في آنٍ واحد، وكأنها تقف على عتبة حلمٍ لطالما ظنّت أنه بعيد المنال. ببطء، رفعت يدها وأخذت السنابل والخاتم من كف كادي، ولامست دفء الذهب الذي بدا وكأنه تأكيد على حقيقة لم تعد مستحيلة.

ابتسم كادي ابتسامة واسعة، ملامحه تشعّ بالارتياح العميق. قال بصوت يملؤه الحب والثبات "لقد عبرت الليالي المظلمة والمسافات الشاسعة لأكون هنا يا مانا... الحب الذي جمعنا أقوى من أي وعد أو فراق." ثم نهض واقترب منها، ومد يده ليلامس خدها برفق.

نظرت مانا إلى عينيه الصادقتين، ولم تستطع هذه المرة أن تكبح دموعها؛ لكنها كانت دموع فرح ممزوجة بشوقٍ دفين. انحنت قليلاً، ليقترب وجهها من وجهه، وفي لحظة ساحرة، تلاقت شفاههما في قبلة أولى، قبلة رقيقة وعذبة كمذاق الندى في الصباح الباكر، لكنها حملت في طياتها شغفًا مكبوتًا وعواطف جياشة انتظرت طويلًا لتتفجر. شعرت مانا بدفء يسري في عروقها، وإحساسٍ بالأمان والسلام لم تعرفه من قبل.

في تلك اللحظة، تقدّم الحاكم بهرام، الذي وصل إلى نيلام الزرقاء برفقة حاشيته، ليشهد هذه اللحظة المصيرية. نظر إليهما بابتسامة ملكية تفيض بالحكمة والحنان، ثم قال بصوتٍ مهيب "يا مانا، لقد أنقذتِ مملكتي... وقلبي. والآن، يسعدني أن أطلب يدك من والدك لابني وولي عهدي، كادي."

ضجّت نيلام الزرقاء بأصوات الفرح والتهليل، وانطلقت الأهازيج معلنةً هذا الرباط المقدّس. أغمض برّاك عينيه، والدموع تنهمر فرحًا، بينما باركت مهروان ووردانة هذا الاتحاد المبارك. احتفلت البلاد بأسرها بزواج الأمير

كادي من ابنة نيلام الجميلة، مانا، التي أصبحت الأميرة مانا بمحبة وتقدير الجميع.

لم يكن هذا الزواج مجرد احتفال، بل كان لقاءً بين عالمين مختلفين، وبرهانًا على أن الحب الحقيقي يتجاوز الحدود وينتصر على كل شيء. عاشت مانا وكادي في سعادة وهناء، يزرعان بذور الأمل والمحبة في كل مكان يحلان به، لتظل قصة السنابل الذهبية تُروى جيلًا بعد جيل، رمزًا للحب الذي ينتصر دومًا، وبداية عهد جديد من السلام والازدهار في قصر حاكم البلاد السلطان بهرام.

في مملكة قديمة، حيث تتراقص الأساطير على ضفاف بحيرة نيلام الساحرة، وتهمس أسرار القصر بين الأروقة، تنشأ قصة حب عاصفة بين مانا وكادي. لكن ثأرًا قديمًا يقف حاجزًا بينهما، مهددًا بإخماد شعلة هذا الحب المشتعل.

بين تردد القلوب وهمسات الخوف، تكمن حقيقة رقصة سحرية واحدة. فهل تمتلك مانا بجرأتها وسحر رقصتها القدرة على كسر قيود الصمت المطبق، وتجاوز الحواجز التي صنعها الماضي، لتمهد الطريق لحب يغيّر مصيرهما ومصير المملكة بأسرها؟

انغمس في هذه الحكاية الملحمية، حيث تتشابك التقاليد العريقة مع قوى خفية، ويكشف كل إيقاع عن سر جديد.

فراس جبران